عبد الرحمن حجاج

كوابيس قبـــل النوم III

الجُـــحـــحـــر

دار الرسم بالكلمات



عنـــوان الكتـــــــاب:	كوابيس قبل النوم (الجزء الثالث والأخير: الجمر).
المـؤلــــــــــــــف:	عبد الرحمن حجاج.
الطبعة الأولـــــــــى:	٢٠٢٤.
المراجعة اللغويـــــة والإخراج الداخلـــــي:	Dr.Right
تصميـم الغـــــلاف:	إسلام مجاهد.
رقــم الإيــــــداع:	2023/20949
الترقيم الدولـــــي:	978-977-86781-7-8

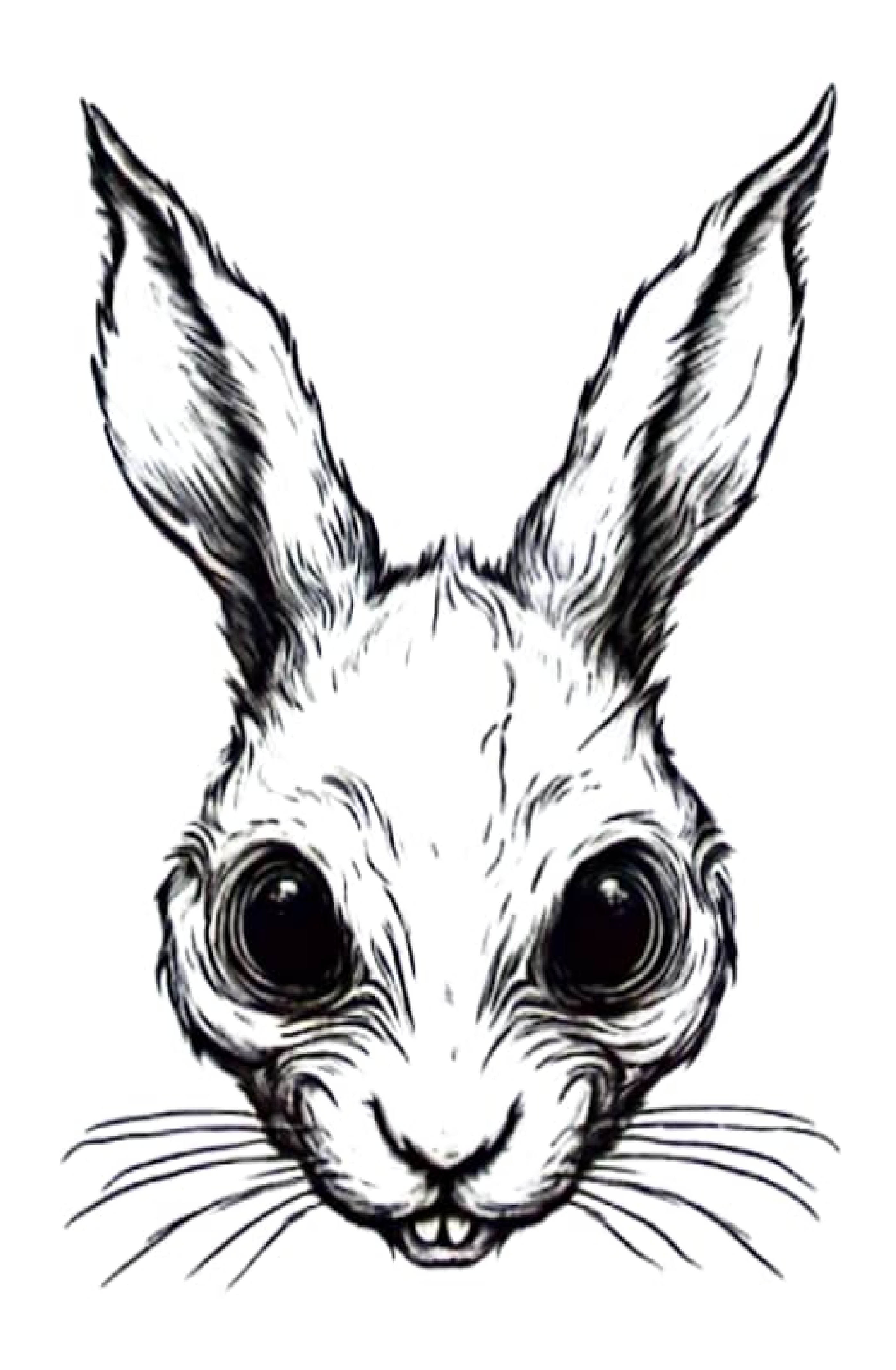




كان يجب أن أسمع للنصيحة الأهم في التاريخ:

لا تنظر خلف الأبواب المغلقة

ولا تسترق النظر حتى..





إهداء



إليك أيها القارئ العزيز..

أهديك الجزء الأخير من ثلاثية (كوابيس قبل النوم)

لعلك تتحرَّر من كوابيسك، كما تحررتُ أنا من شبح الماضي!



إهداء خاص



إلى شخصيتي المفضلة على الإطلاق في عالم رواياتي:

يونس أحمد ليل

أشكرك على تلك الرحلة وعلى كونك الرفيق الحق..





مدينة لاهاي - ١٨٨١

كان فينسنت يتجول في شوارع المدينة قبيل الفجر يجر بأقدامه مرار سلسلة لا تنتهي من الفشل والإحباط، بينما أمطار هولندا الضارية تهبط فوق رأسه لتوقظه من أحلامه المشئمة كلها بلا استثناء، يشعر وكأنه يدور في فلك يسحبه رويدًا إلى موت قادم لا محالة، رغم أنه حتى لم يبلغ الثلاثين ربيعًا. عائدًا إلى بيته في تلك الليلة يحمل خلف ظهره لوحتين فشل في بيعهما كالعادة، كلمات صاحب متجر اللوحات ما زالت ترن في أذنيه: "ابحث لك عن حرفة تكسب منها قوت يومك واترك الرسم لأصحاب الموهبة الحقيقية يا عزيزي".

يصرخ منافسًا الرعد في حمقته لاعنًا الفقر وسوء الحظ، لاعنًا القدر الذي لم يعطِه من الحياة سوى وجهها القبيح ولا غير ذلك، لاعنًا قلبه والذي يعتبره بوصلة تعاسته، أمسك بإحدى اللوحات وشرع في تمزيقها حتى استوقفه مشهد ألجم غضبه في أحد الأزقة المتسخة بالقمامة والماء الأسود القذر، كان المشهد لشابة جميلة يحمل وجهها كل معاني اليأس تحتضن طفلة صغيرة هزيلة، مبتلتان تمامًا، تتناولان بعض فتات رغيف من الخبز العفن ألقاه



أحدهم بالشارع، ترتعشان من البرد، يكاد الشتاء المميت أن يفتك بهما.

اقترب منهما فينسنت ووضع فوقهما معطفه الرث، والذي خلعه من فوق جسده النحيل بلا تفكير، ابتسمت الشابة في وهنٍ وهي تهز رأسها شاكرة إياه على تصرفه النبيل والذي لم تعتَد عليه من ساكني لاهاي أبدًا.

- ستصاب الطفلة ببرد شديد، وأنتِ أيضًا!

- لا نملك المال لننعم بسقف يحمي أجسادنا.

تنهد فينسنت في أسى وقال وهو يمد يده لها في ود:

- ما رأيك أن تأتيا معي لشقتي؟ هي أشبه بجحر الفئران، ولكنها على الأقل لا تمتلئ بماء المطر، أعتقد أنها ستفي بالغرض!

ابتسمت الشابة وهي تشير لبطنها كاشفة عن حملها وقالت:

- أنا حامل، أعذرني، لن أستطيع أن أُقدم لك شيئًا في المقابل.

- ومن قال أنني أريد شيئًا منكِ؟ ألا يستطيع المرء أن يقدم يد المساعدة لسيدة جميلة وطفلتها اللطيفة؟

- لم أعتد هذا من سكان لاهاي، الكل يأخذ مني شيئًا حتى يعطيني شيئًا. وإن أتيت معك الآن ولم أقدم لك ما يريده أي رجل ستركني أنا وطفلتي مرة أخرى إلى الشارع..

فهم فينسنت ما تعنيه تلك البائسة، تقصد بالطبع عملها كعاهرة،

شأنها شأن العشرات من الفتيات، بلا مأوى ولا مال ولا يجدن ما يقدمنه سوى أجسادهن المرهقة، وبسبب حملها لا تستطيع أن تمارس عملها بشكلٍ طبيعي إلا أن فينسنت ربت على كتفها المبتل وقال:

- لا أريد سوى بعض الونس.. أنا وحيد مثلكِ تمامًا. بالمناسبة ما اسمكِ؟

- كلاسينا، ولكن يمكنك مناداتي بسين.

- تشرفت بك يا سين. أنا فينسنت فان جوخ.

مشت كلاسينا وابنتها المنهكة تمامًا من المطر تتبعان فينسنت كطوق نجاة ألقاه الله لهما من السماء، ينظر لهما فينسنت بين الخطوة والأخرى ليتأكد أنهما تتبعانه، والذي لأول مرة منذ فترة طويلة يشعر بهذا القدر من السعادة والرضا عن شيء ما.

دلف إلى منزله متناهي الصغر يرحب بهما على استحياء، الشقة تفضح جنونه وعشقه للفن، الألوان والأوراق يشغلون المساحة الأكبر من البيت الضئيل، خلعت كلاسينا ملابسها بالكامل وألقت بها إلى جانب باب شقته وقالت وهي تبتسم في خجل.

- أتمانع إن أعرتني أنا وابنتي بعض الملابس؟ سنعيدها عندما تجف ملابسنا، لا تقلق.

تلجلج هو من رؤيتها عارية وقال وهو يناولها بعض الملابس النظيفة:

- أنا وشقتي المتواضعة وكل ما بها في خدمتكِ.



هزت رأسها في امتنان، ناولها فينسنت بعدها بعض الجبن والخبز وصب لها الشاي الساخن، ضحكت في بلاهة، إنها المرة الأولى منذ سنوات التي تشعر بها كلاسينا بهذا الشعور العجيب، أهي الطُّمأنينة؟ أم أمل يتجدد في جنس البشر؟ والمرة الأولى له أيضًا التي يشعر فينسنت أن لحياته هدف نبيل يستحق أن يعيش من أجله.



عزيزي ثيو،

أشفق على النساء..

هؤلاء النساء اللواتي تلعنهن أعين الرجال بشدة..

ويحتقرونهن ويدينونهن دون النظر إلى حياتهن حقًا وإلى ماهيتهم الحقيقية..

فينسنت





القاهرة - ٢٠٠٥

دلف الدكتور هارون إلى قاعة المحاضرات والوجوم يظهر جليًّا على ملامح وجهه الذي يتصبب عرقًا بفعل الحرارة والغضب، اقترب عدة خطوات للمدرج حيث كان الطلبة جالسون ينظرون له في ترقب، الجميع يحترمه والجميع يهابه، والجميع يعلم أنه مختال ومختل، عبقري في مجاله، يحتقر من يعارضه أو يجادله حتى، الجميع ينتظر محاضرته بشغف للاستفادة من علمه، حتى وإن كان يغيب كثيرًا خصوصًا في الأيام الشتوية العتيدة، ألقى بحقيبته باحتدام على مكتبه وبدأ يحرك بصره بين طلابه كَمَن يستعد لاغتيالهم بخرطوش مدبب من عينه.

هارون حسين الرفاعي، أو هارون هولمز، كما يسميه كل من يعرفه، طبيب نفسي مخضرم أربعيني أصلع الرأس متهجم الوجه، لا يبتسم ولا يجامل، ذاع صيته منذ سنوات كواحد من القلائل المتخصصين في كشف وتحليل سيكولوجية المجرمين ببراعة استثنائية. تستعين به الشرطة منذ زمن مع الحالات الخطرة ومتهمين القضايا النفسية المستعصية، تناول الكثيرون من الطلبة والأساتذة قصصًا كثيرة عن مهاراته غير التقليدية في البحث



والإقناع، وعن خوف المجرمين منه واعترافهم بكل شيء أمامه، حتى قبل أن يبدأ كشفه وتحليله، لذلك أطلق عليه الناس لقب هارون هولمز لذكائه الشديد.

اقترب بصلعته الحمراء والغضب يتطاير من عينيه ليثبت أمام أحد الطلبة الجالسين في منتصف المدرج والذي بدا هادئًا ولم يعر لهارون أي اهتمام، بل ظل في حالة ثبات يرسم دوائر عشوائية في ورقة بيضاء استقرت أمامه. أخرج سجائره من جيبه ليسحب نفسًا طويلًا من أحدها أسفر عن موت أكثر من نصف تلك السيجارة البائسة، ثم قال للطالب بكل استهزاء وتهكم.

- قوم اقف يا فلتة عصرك وزمانك!

قام الطالب من مكانه متوترًا بعد سماعه تلك الجملة دون أن ينطق بحرف واحد، أخرج هارون من جيب معطفه بعض الطباشير وناولها للشاب بيد مهتزة ثم قال:

- خد الطباشير دي وروح اقف عند السبورة هناك..

ثم جلس هارون مكان الشاب في تحدٍ، تحرك الشاب بخطوات قلقة لمحراب قاعة المحاضرات ليستدير بعدها في انتظار ما يريده أستاذه منه.

- اكتب لنا كده يا أستاذ، فردمان قسم السلوك الإجرامي لإيه عشان أنا مش فاكر!

فقام الشاب بتدوين الإجابة بيدٍ مرتعشة على السبورة وهو غارق في صمته، نظر بعدها إلى دكتور هارون والذي قال بنفس اللهجة



المُستهزئة:

- طيب معلش لو مش هتعبك تكتب لنا كان مين دكتور مادة سيكولوجية الجرائم اللي حضرتك طالب فيها؟

- حضرتك يا دكتور هارون!

- طب هايل! كويس إن سعادتك فاكر، أمال انت كل يوم لامم الدفعة وقاعد بتشرح لهم وتذاكر لهم ليه؟

- يا دكتور هو فيه اللي يمنع إني أساعد زمايلي؟

قام هارون من مقعده ليقترب منه بوجهٍ يحمل الكثير من ملامح الجنون قائلًا بصوتٍ عالٍ مواجهًا باقي الطلبة:

- لو جبت لك دلوقتي متهم في قضية قتل، أربع اشخاص على وجه التحديد، والتحقيقات كلها بتقول إنه قتل عمدًا! هتعرف تقولي الراجل ده مذنب ولا لأ؟ هتقدر تثبت براءته لو بريء؟ اللي يمنع إنك لسه حتة عيل لا راح ولا جه عشان تعملي فيها فرويد يا... انت اسمك إيه صحيح يا شاطر؟

- يونس يا دكتور.. يونس أحمد ليل.

- طيب يا أستاذ يونس، اعتبر نفسك ساقط في المادة بتاعتي السنة دي لحد ما تعرف دورك إيه في الكلية دي.

- بس ده ظلم يا دكتور!

- روح اشتكيني لعميد الكلية.. قوله هارون الرفاعي راجل ظالم وبيفترى عليا. يلا اتفضل اطلع برا، والكلام للجميع، اللي شايف



نفسه أستاذ يروح يسحب مادتي وما اشوفش وشه هنا تاني!

خرج يونس وهو يلملم نحجله وكتبه حتى وصل إلى دورة المياه ليحبس نفسه بداخلها، يجاهد أحزانه ودموعه، يعلم أنه لم يفعل شيئًا سوى تقديم يد المساعدة لأصدقائه وزملائه، وأن هارون ليس سوى مختال مصاب بجنون العظمة. اقترب منه صديقه الوحيد في تلك اللحظة جالسًا فوق المرحاض وهو يتأمل يونس في صمت واضعًا يده على خده في سخرية.

- تحب بكرة نحضر عزاء الدكتور هارون؟

قالها زيتون بجدية لا تخلو من حسه الفكاهي المخيف.

- لا يا زيتون! قتل تاني لأ! كفاية اللي حصل زمان!

تأفف زيتون وقال في استياءٍ شديد:

- براحتك.. مع إن الموت في أوقات كتير بيبقى حل منطقي!

- مش هنلجأ للحل ده يا زيتون، وما تفتحش الموضوع ده تاني معايا!

أشاح زيتون بنظره بعيدًا وقال في سخرية:

- عمومًا، هو للأسف هيروح النهاردا بمواصلات عشان الأربع عجلات بتوع عربيته بقوا على الأرض.

ضحك يونس وهو ينظر لزيتون في امتنان:

- اعدل نفسك كده عشان ياسمين واقفة برا، بلاش تشوفك في



الحالة دي.

- امشي انت طيب دلوقتي..

- ماشي يا رومانسي، أشوفك في البيت!

كانت ترتدي سترة زرقاء زادتها جمالًا في بساطتها، تبتسم في حب بريء، منذ أن عرفت يونس في بداية العام الماضي في الجامعة وهي لا ترى غيره، تحبه وتعشق تفاصيله، ويرى هو فيها الحب الذي طالما افتقده بين أسرته.

- مالك يا عم الحزين؟

- هو فيه غيره! هارون المجنون كالعادة حاطتني في دماغه.

- هفضل أقولها لك يا يونس.. ابعد عنه عشان ده راجل مؤذي.

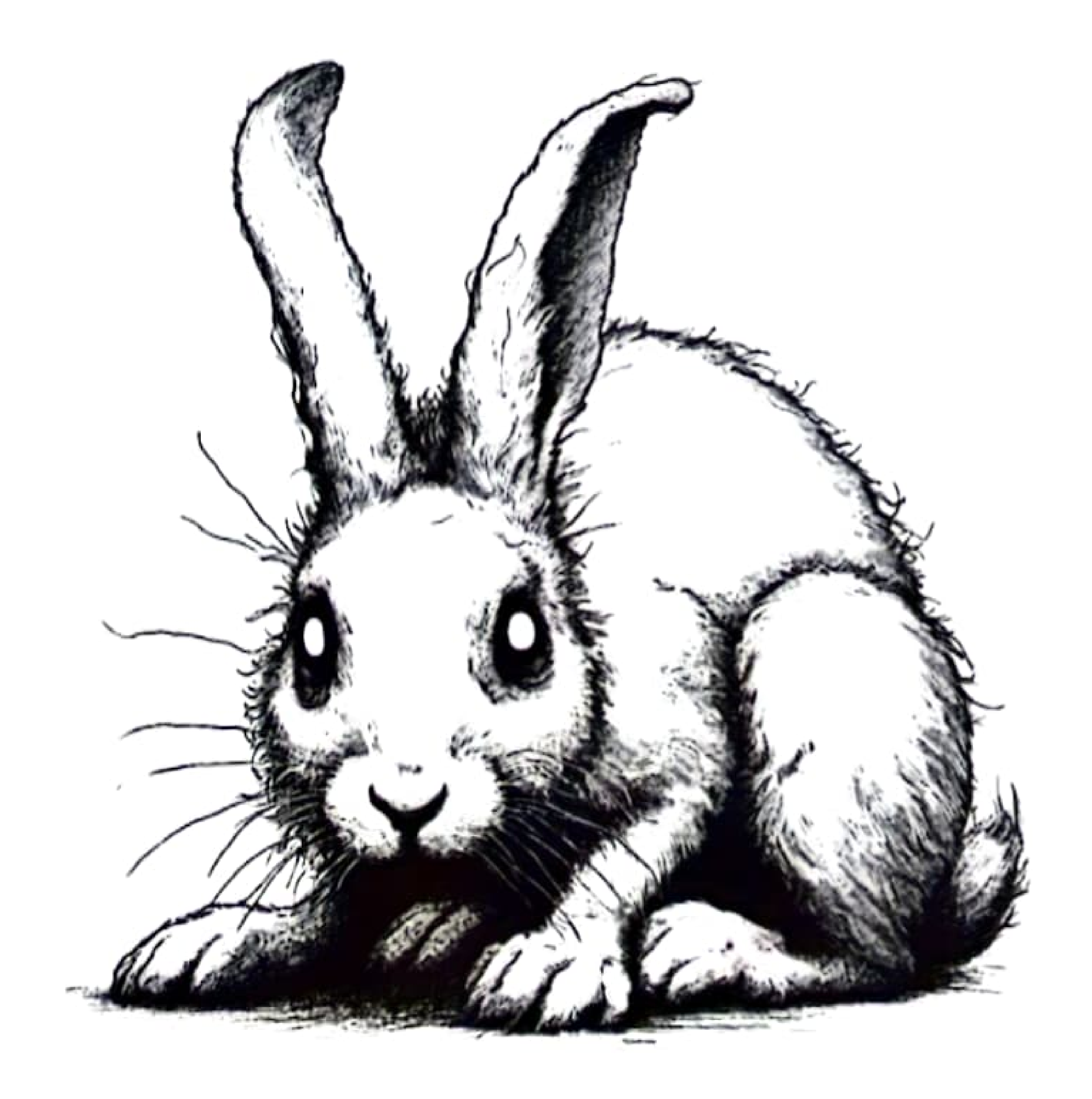
- سيبك انتِ.. تيجي نروح سمسمة؟

- أنا عايزة أروح فيلم أحمد حلمي الجديد، زكي شان!



الفصل الأول

يونس خارج بلاد العجائب





الساحل الشمالي - ٢٠٢٦

(الزمن الحاضر)

أنا هو أنا.. أنا تعويذة من الكتاب الأقدم للسحر الأسود، العن كل من يقترب مني..

أنا عمل سفلي لا يمكن عكسه أو إبطاله.. رجس لا يغتفر..

أنا من ظننت نفسي طوق نجاة حتى أدركت أني طوق يلتف حول رقاب من حولي..

أنا من تجرَّع الموت فأصبحت اعرفه حق المعرفة، أبتسم له كصديق قديم.

أنا الذي ظننت يومًا أني ملعون حتى فهمت أخيرًا أنني اللعنة ذاتها..

يونس.. الطاعون.. والكابوس الوحيد الذي لا يمكن الاستيقاظ منه..

هو أنا..

استيقظت منذ لحظات على حلم غريب وصوت مستفز لضغيب



أرنب ما، حلم يتكرر منذ عدة ليالٍ بلا انقطاع أو فواصل. أرى في حلمي يونس الشاب، خارج من غرفة محاضرات دكتور هارون الذي كنت أكرهه كثيرًا، لأجد في انتظاري أمام باب الخروج امرأة رائعة الجمال ترتدي فستانًا أسود تحيطها هالة من النور الأحمر، وأرنب صغير يرتدي ملابس بشرية يمسك بيده ساعة جيب ضخمة، يجري مهرولًا في ذعر لا أفهم سببًا منطقيًا له. يقسم بشاربه أنه قد تأخر كثيرًا وأنني أنا من تسببت في هذا التأخير، يسحبني من يدي كي ألحق به، يجذبني من ملابسي حتى أسير على خطاه، إلا أنني أسير متثاقلًا كالمخمور، وهو يجري بسرعة لا تتناسب تمامًا مع حركتي البطيئة، أحاول أن ألحق به، إلا أنه لا يكف عن الصياح في وجهي بأننا قد تأخرنا عن الموعد.

لم أعد مهيَّأً للركض كما كنت أفعل في الماضي. متى سأنعم بالقدرة على السير كسائر البشر؟ متى سأنعم بالتوقف عن كل شيء؟ كل ما أريده على الأقل هو زر pause في حياتي.

لا يكف الأرنب اللعين عن سحبي لأواكب سرعته حتى دفعني إلى بحر صغير، بحر امتد كنفق لا ينتهي، بئر عميق بنفسجي اللون تشع من ثغراته أضواء خضراء لامعة، وأنا أسقط بداخله بالتصوير البطيء، ظللت أسقط حتى ارتطم جسدي النحيل بالقاع، لا يوجد بجواري سوى قارورة صغيرة بداخلها سائل فضي اللون، رُبطت حول عنقها ورقة طُبع عليها كلمة: "تجرَّعني".

لماذا تحولت كوابيسي إلى مشاهد لا تنتهي من رواية (أليس في بلاد العجائب) في نسخة لم يُكتب لها النشر؟ أم هي رواية يونس في تلك البلاد التي تتحدث بها الورود وطيور الدودو ويصاحبني



بها صانع القبعات المختل عقليًا!

أتجرع محتوى القارورة فيتغير شكلي، أرى نفسي شابًا في قارب صغير في إحدى بحيرات الفيوم، أمامي يجلس الريس نونو يُدخن في صمت، ألقي بسنارتي في البحيرة فتخرج لي منها حنين في صورة عروس البحر، تنفث لهبًا وغضبًا من خياشيمها.

- لسه مش بتعرف تنام بالليل يا يونس؟

- حنين؟!

أترك السنارة من يدي، إلا أنها تحولت إلى طائر ضخم بأجنحة لزجة تلتف حول القارب وتسحبه إلى القاع. أسفل البحيرة، أرى عصفورة في منزل الجدة ونجي بجلباب أسود تنقش بعض الكلمات الغريبة فوق خاتم فيروزي بين يديها بقطرات من الدماء، تصرخ في وجهي وتبدأ في مطاردتي، وأسرع أنا إلى السطح حيث ينتظرني الطائر مرة أخرى.

فوق السطح أرى طبيبة طفولتي رحمة، تجلس في عيادتها فوق جزيرة صغيرة، تنقر بقلم بتوتر فوق كراسٍ صغير، بينما يقف أبي خلفها وهو يبكي خائفًا وينظر إلى صورة متحركة لأخي عادل، والدماء تسيل من عينيه وهو يقول غاضبًا:

- مافيش حد بيدخل المكان ده ويخرج منه!

أخرج من غرفة عيادتها مسرعًا والعرق يتصبب مني، لأجد نفسي في ملعب كرة القدم بمدرستي أجلس على الدكة وإلى جانبي فان جوخ بحلته الزرقاء يتابع المباراة في اهتمام.



- لسه بتدور على الحب يا يونس؟ الحب عمره ما هيخليك تعيش في سلام، صدقني.

- أنا بدور على إجابات..

- الإجابات مش هتجيب غير الألم.. واللي هتعرفه هيخليك تعيش في تعاسة.

أفتح عيني عند هذا المشهد، ما زلت لا أقوى على رؤية الماضي حتى في أحلامي. ما زال جزء بداخلي يتذكر ولو شيئًا بسيطًا من حسنات حنين وعصفورة. قمت من فراشي في هدوء حتى لا أوقظ ياسمين، ودلفت إلى خارج المنزل بأقدام عارية تتوق لملامسة الرمال الباردة. كان الوقت يقترب إلى السابعة صباحًا، وقت مثالي للهدوء والاستمتاع بهواء (أورجانيك) قادم من الشاطئ الذي يقابل منزلي بالساحل الشمالي، والذي أصبح الآن بيتي منذ سنوات، لا أغادره ولا أنوي مغادرته. كان جاري العجوز الأستاذ نادر مستيقظًا يدخن غليونه في هدوء، حتى قاطعت لحظته على استحياء وأنا أحييه:

- حلو الوقت اللي بين الشتا والصيف يا أستاذ نادر، مش كده؟

- مظبوط.. أهدا وقت في السنة.. بحس إن الساحل ملكي..

- تشرب معايا شاي؟

إلا أن الرجل لم يجب، فأعدتُ عليه السؤال مرة أخرى، فأتى رده غريبًا غير متوقع:



- حنين بتسلم عليك يا يونس.. تحب تروح لها؟

شعرت بغصة في صدري، لم يهملني فرصة، فاقترب وفي يده سكين ضخم بدأ يقربه إلى وجهي في بطء، أغمضت عيني حتى أهرب من ضربته في صدري، وقد كان. فتحت عيني لأجد نفسي في فراشي مرة أخرى، أصبحت كوابيسي أقوى وأكثر واقعية من الماضي، وأحيانًا تأتي مزدوجة حتى تفتك بي. قفزت من الفراش لأخرج من الشرفة، لا يوجد سكاكين هذه المرة ولا أثر لحنين. مشيت عدة خطوات ساحبًا كرسيًّا بلاستيكيًّا في يدي وجلست أمام البحر مباشرةً، أخرجت من جيبي تلك الرسالة التي قد وصلتني منذ عدة أيام، الرسالة التي تحمل توقيعًا من حاتم نور. أمسكت بهاتفي وطلبت رقم يارا، الأمان الحقيقي والوحيد في هذا العالم.

- صحيتك من النوم؟

- لا يا حبيبي أنا صحيت من شوية أصلي الفجر، انت كويس يا يونس؟

- آه يا حبيبتي، وحشتيني بس وكنت عايز أسمع صوتك..

سكتت للحظات كَمَن يحللني، ثم قالت بنبرة قلقة:

- صوتك مش عاجبني يا يونس..

- تفتكري ماما الله يرحمها زعلانة مني؟

تنهدت ثم أجابت بحب صادق:

- ماما، في حاجات كتير ما فهمتهاش، أنا متأكدة إن في المكان اللي هي فيه كل الحقيقة بانت، بطل تعيش وانت حاسس بالذنب يا حبيبي..

- هجيلك قريب.. بوسي لي مريم لحد ما أشوفها..

لماذا يبحث عنا الماضي ولا يمل؟ لماذا تعود أشباح الذكريات وهي تحمل في طياتها الصندوق الأسود لحياتنا؟ حتى وإن كنا قد قررنا أن ننسى وأن نكمل حياتنا في سلام طال انتظاره، تظل الكوابيس تلهث خلفنا ككلب جائع لتفتك بنا ولا نجد ما نفعله سوى الاستسلام التام كجندي فقد أسلحته وأمله.

في الأعوام الماضية، كنت قد خسرت الكثيرين، خسرت أبي الذي لم أكن أعلم بكونه على قيد الحياة، خسرت أمي التي لم تعرف أني بريء من دم أبي، خسرت أخًا لم أكن أعرف شيئًا عن وجوده، خسرت زوجة، بل زوجتين وخسرت ثباتي وكلمة (حياة طبيعية) من قاموسي. ألا تكفي كل تلك الخسائر بأن تكون ثمنًا مناسبًا حتى أستطيع أن أعيش حياتي في هدوء مع أسرتي الصغيرة؟ ألا تكفي تلك الخسائر كي لا أعود إلى كوابيس الصحو مرة أخرى؟

ألا يمكن أن يعيشا أبنائي أحمد ومنال حياة طبيعية ويذهبان لمدارس عادية مع أب يمتهن وظيفة طبيعية ولا يمتلك قرينًا عجيبًا مثل زيتون؟ في الأغلب كل ما سأحصل عليه من إجابات هي (لا) بحجم مخاوفي وكوابيسي.

شعرت ببعض الراحة بعد مكالمتي مع يارا، قمت بتحضير قهوتي

وعلى أريكتي المفضلة جلست أشاهد فيلم (لالا لاند) للمرة التاسعة في هذا الأسبوع، أشاهده بتركيز شديد وكأنني أشاهده للمرة الأولى وأنا أسأل نفسي لماذا لم ينته هذا الفيلم بنهاية سعيدة تليق بجمال وموهبة البطلين! حتى قطع تركيزي الحضن الأجمل في حياتي، حضن ابنتي منال ذات الأربعة أعوام، يتبعها الأستاذ أحمد ابني البكري والذي قد أتم عامه السادس منذ أيام.

- بابا، هات موبايلك عايز ألعب games عليه..

- طب ما تيجوا نطلع نلعب على البحر! أحلى بدل من الموبايل اللي هيجننكم ده.

سنوات مرت منذ حادثة مصحة أسود، ست سنوات وقد ظننتهم ثمانية أو عشرة من كثرة الرتابة الصحية بهم، لا أطمح بأكثر من السعادة التي أعيش فيها معهم ومع ياسمين، ولكن يونس والسعادة الأبدية لا يجتمعان. الأيام التي تعاش في سكون تمر وكأنها دهر بأكمله، وأنا فقدت قدرتي على الحساب منذ زمن طويل.

- أمال ماما فين يا ولاد؟

وصلتني الإجابة بصوتها الناعم قادم من المطبخ يتبعه رائحة البيض بالبسطرمة، الوجبة الأقرب لقلبي.

- ثواني وجاية يا يونس، كنت بحضر الفطار.

- إحنا معزومين عند أستاذ حسني بكرة في الفيلا بتاعته.

- ماشي يا حبيبي.. النهاردا عاملة لك المسقعة اللي بتحبها!

- فكرتيني بتيتة صفية الله يرحمها.. تسلم إيدك يا روحي.

أنظر في عيون أحمد، فأرى انعكاس عصفورة في ملامحه، كم يشبهها وكم يرهقني هذا التشابه والذي يجب أن أعيش معه، مثل حياتي مع قصيدة الجدول والتي لا تتوقف إعادتها في أذني وكأنها تحكي قصة حياتي في أبيات، إلا أن حسن حظه وحظي وهبنا ياسمين لتكون أمًا له تحبه بقدر حبها لابنتنا منال. ياسمين قلب لا يعرف سوى الحب، حقيقية في كل شيء، مثل زهرة عباد الشمس، تعشق الشمس والحياة ولا تنمو إلا بالسعادة. واحد وأربعون عامًا، لا أعلم كيف بقيت حيًا كل هذه السنوات! لا أعلم كيف تحملتني الحياة كل هذا دون أن تسحق ضلوعي فأتحول إلى فتات!

لماذا لم أمت مثلما مات الكثيرون في قصتي؟ لماذا انتحر فان جوخ؟

الحب؟ الفقر؟ أم لأن أحدًا لم يفهمه!

لماذا لم تكن لوحاته كافية ليعيش سعيدًا بفنه؟ هل حقًا الحزن يدوم إلى الأبد؟ أم أنه أراد الحياة والسعادة، ولكن القدر كان له رأي آخر؟

وكأن حياتي تم طلاؤها بفرشاة سوداء لم تعرف في يوم ما ألوانًا أخرى بعدما أرسل حاتم نور هذا الصندوق اللعين منذ أيام. ماذا يريد هذا الملعون بعد كل تلك السنوات؟ تبًا له ولكل الأرانب! تبًا لأليس ولقصتها المريضة!



جلست في المساء أمام الشاطئ وفي يدي القناع الذي أرسله إليَّ، قناع جلدي مخيف لوجه أرنب بلا فم، أشبه بأقنعة الهالوين، تمامًا كالقناع الذي أهداني به أبي منذ سنوات طويلة، أعيد قراءة رسالته مرارًا وتكرارًا: "جوا العلبة شيء يخصك من سنين، ده الوقت إنه يرجع لك تاني".

أغمضت عيني لأتذكر هذا اليوم الذي أحضر لي أبي فيه قناعًا مماثلًا لهذا في طفولتي، أتذكر كلماته جيدًا عندما أعطاني هذا القناع: "عايزك تعتبر القناع ده سلاحك.. كل ما تبدأ تشوف عفاريت أو أي شيء يخوفك البس القناع ده، استخبى من مخاوفك جواه".

أتذكر هذا اليوم جيدًا لأنني أتذكر كم كنت خائفًا من هذا القناع، ولأن في هذا اليوم احتضنني أبي للمرة الأولى. اقتربت مني ياسمين في دلال وقالت بعدما طبعت قبلة على خدي أعادتني بها إلى أرض الواقع.

- هتفضل شاغل نفسك بالصندوق طول الوقت كده؟ مش انت اللي قولت إنك مش عايز أي حاجة تفكرك بالماضي؟

- الموضوع مش بالبساطة دي يا ياسمين.. حاتم ما كانش هيبعت حاجة إلا لو عايز يوصلي رسالة مهمة.. وفكرة إنه عرف مكاني بعد كل السنين دي تخليني أقلق من مجرد إحساسي إن فيه خطر عليكم..

- طيب افرض إن مفيش حاجة من دي، افرض إنك هتبقى بتفتح باب انت اللي قفلته بإيدك؟ مش انت اللي دايمًا تقول



إن البيبان المقفولة الأحسن إننا مانبصش وراها؟ افرض إن الصندوق ده وصله وهو ماكنش عايز غير إنه يبعتهولك وخلاص!

- أنا محتاج أفهم بس عشان بعدها نعيش مرتاحين باقي حياتنا.. أنا هروح له بيته قريب وإن شاء الله يطلع كل اللي في دماغي وهم..



عزيزي ثيو،

متى يمكنني أن أُطلق على مسكني لقب منزل؟

متى يمكنني أن أعثر ولو لمرة واحدة على السعادة الأبدية؟

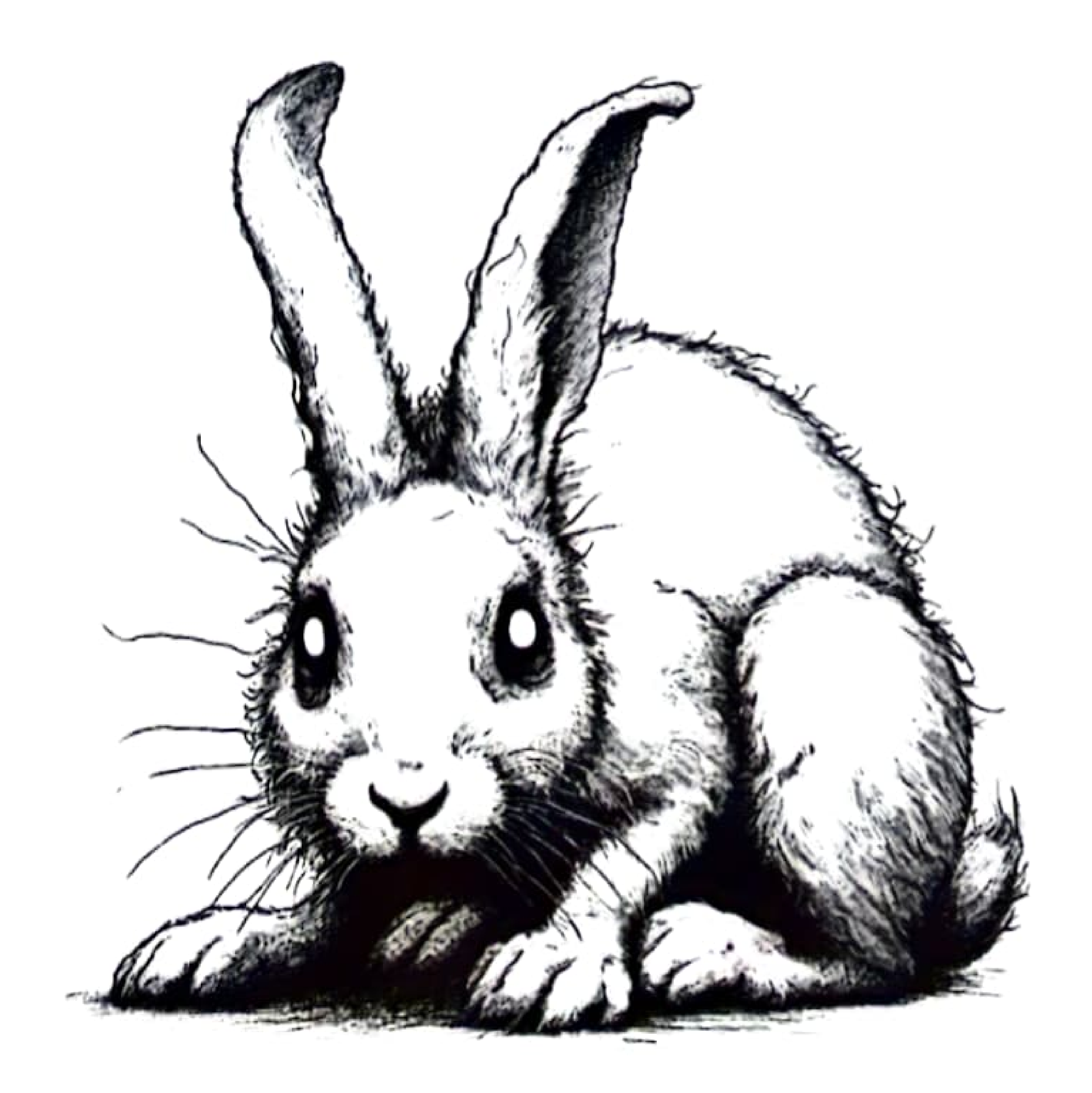
أشعر أنني محطّم نفسيًا وعقليًا، وأنني أخسر حياتي بفعل الانتظار!

فينسنت



الفصل الثاني

أرنب غير أليف





الحياة أمام البحر أعطت لقلبي شيئًا من السكينة، في السنوات الأخيرة، أصبحت غارقًا في سعادة ظننتها لن تأتي، ولكنها أتت ومعها صندوق من الماضي، طرد وصل متأخرًا وتمنيت ألا يصل أبدًا، كنت أتمنى أن يبقى الوضع كما هو، أستنشق هواء ياسمين التي عادت لطبيعتها وعادت لها ذاكرتها بعد مجهود كبير، كما عادت إليها ابتسامتها بعد وقت طويل، واستمد الحياة من منال وأحمد. أكره الصخب بكل أنواعه، أكره التجمعات المكتظة بالوجوه الكاذبة وأكره الابتسامات المزيفة التي لا تحمل من المشاعر إلا سائلًا أصفر يتم رشه على ملامح الجميع في هذا التوقيت من الزيف والنفاق، وربما عزلتي جعلتني أرى الأشياء بشكل أوضح بلا رتوش وفلاتر.

للعزلة فوائد كثيرة، ولكن لكل عزلة ضريبة يجب أن تُدفع حتى تستمر الحياة بالشكل الذي يتمناه المرء من داخله، وضريبة عزلتي كانت التجمع الشهري للأستاذ حسني مدير القرية التي أعيش فيها مع أسرتي بالساحل الشمالي وأحد الملاك بها أيضًا.

مثلي تمامًا، يعيش حسني في الفيلا الخاصة به صيفًا وشتاءً، يحبه الجميع ويستجيبون دومًا لحفلاته وتجمعاته الكثيرة والتي يقيمها بصورة شبه روتينية كل شهر، وعلى الجميع أن يحضر بلا نقاش أو مبررات، وأنا أولهم، خصوصًا أني أعيش على بعد أمتار قليلة منه، ولا أريد أن اثير الشكوك حولي بأي شكل من الأشكال. فقط في حفلات حسني أتذكر السبب وراء كرهي للبشر.

كان حسني يرتدي قميصًا ورديًّا نُقشت عليه العشرات من طيور الفلامنجو والزهور الوردية، أزرار ملابسه تحارب بكل



كد واجتهاد حتى لا يهرب كرشه المهيب من أحضان القميص البائس، يحمل في يده اليمنى كأسًا من العصير، وبيده اليسرى كان يربت على كتفي بكفه العملاق وهو يعرف بعض المدعوين عليَّ بكل زهو وسعادة بصوته العالي المزعج دائمًا.

- أحب أعرفكم على جاري المحترم دكتور يونس، قمة في الشياكة والأخلاق العالية، عملة نادرة مش موجودة خلاص يا جماعة..

نظرت إلى إحدى السيدات من الدائرة والتي تشابهت مع حسني في الحجم وقالت وهي تضم كلبها البيكينوا إلى صدرها في سعادة مبالغ فيها:

- يا بخت اللي يحبه حسني باشا! وحضرتك دكتور إيه بقى عشان نكون زباينك؟

- هو حسني باشا لسانه حلو ويحب يجامل، كنت طبيب نفسيّ يا فندم بس خلاص سيبت الشغل من فترة..

- والله أريح، أعرف صديق ليا طبيب نفسي جاله اكتئاب من اللي بيشوفه، وييجي حد يقولك إن الدكاترة النفسيين مش بيعيوا!

- فيه حاجات في الدنيا الأحسن إنك تبعدي عندها، وحاجات تانية مهما بتبعدي عندها مش هتسيبك.

إلى جانب السيدة، وقف رجل بلحية طويلة وكاب أخفى أغلب ملامح وجهه، نظر إليَّ بعد جملتي الأخيرة وقال بصوت أجش:



- فيه ناس عاملين زي المغناطيس، بيسحبوا الوحش ليهم من غير أي إرادة منهم..

جاملته بابتسامة لا معنى لها ثم أشحت ببصري ناظرًا إلى ياسمين وهي تتجاذب أطراف الحديث مع زوجة الأستاذ حسني، بينما يجلس إلى جانبها أحمد ومنال يشاهدان حلقة من مسلسل الأطفال المفضل لديهم Peppa Pig، وكأني أنظر إلى حياتي بأسرها في نظرتي لهم، وكأني أعرف ماهية الحياة بوجودهم. عدت ببصري إلى رفاقي بابتسامة سرعان ما اختفت فور أن نظرت إلى وجه السيدة صاحبة الكلب، والتي بدا وجهها شاحبًا، نظرت إلى موضع عينيها المذعورتين فرأيت مجموعة من المقنعين يقتحمون حفل السيد حسني، يرتدون جميعًا قناعًا اعرفه تمامًا المعرفة، قناع لوجه ارنب مخيف من الجلد، وبلا أي تمهيد أخرجوا جميعهم من خلف ظهورهم أسلحة نارية وطلب أحدهم من الجميع أن ينبطحوا أرضًا.

تقدم أحدهم والذي استشفيت أنه قائدهم وقال بصوت مخيف:

- لو سمعنا الكلام كل واحد هيمشي من هنا سليم، إحنا مش عايزين نعمل حاجة في حد..

بلع الأستاذ حسني ريقه بصعوبة وقال:

- انتم مين وبتعملوا إيه في بيتي؟!

إلا أن الرجل أجابه على سؤاله بطلقة نارية في قدمه اليسرى أسقطته على الأرض غارقًا في نحيبه، ثم قال:

- أول حاجة يا ريت ماحدش تاني يتكلم من غير إذن مني..

ثم بدأ يتجول في أركان الحفل ينظر إلى الوجوه الخائفة من خلف قناعه، حتى توقف أمام ياسمين وأنا أراقبهم على بعد أمتار قليلة في قلق.

- ثانيًا بقى.. مين فيكم يونس ليل؟

رفعت يدي في توتر كتلميذ ينتظر العقاب على شيء لم يفعله. ترى، من هذا المقنع؟ وما سر هذا القناع اللعين؟ لماذا دومًا تريدون شيئًا من يونس؟

- دول عيالك صح؟ أحمد ومنال!

قالها المقنع وهو يشير بفوهة سلاحه باتجاههم، بدأ الاثنان في البكاء، حاولت ياسمين أن تقترب منهم إلا أن واحدًا من رجاله قام بإبعادها عنهم بالقوة، صوب الأول سلاحه إلى وجه ابني أحمد وقبل أن يضغط الزناد أتت طلقة مسرعة من مسدس يحمله الرجل الملتحي الذي كان يرتدي كاب منذ قليل، استقرت في منتصف قناعه ليسقط على الأرض جثة هامدة في الحال. بدأ باقي المقنعون بإطلاق النار في الهواء، وقام واحد منهم بحمل جثة زميلهم وآخر قام بحمل ابنتي منال، ليغادروا الفيلا والأسلحة مصوبة نحونا.

هل أحلم؟ هل ما يحدث يتشابه مع كوابيسي؟

هل الهلاوس عادت من جديد أم أنها لم تذهب من الأساس؟

أجري في مكاني أحاول اللحاق بهم، ولكنني لا أتحرك.. أجري

كالمجنون وأنا لا أشعر بأي حركة من جسدي..

- منااال!! عايزين من بنتي إيه!!

أصرخ بكل ما بداخلي من حياة، هذا وإن كنت حيًا من الأساس! العشرات من قنابل الدخان تم إطلاقهم خارج الفيلا، لا أرى أي شيء، لا أستطيع التنفس بشكل طبيعي، أركض في دوائر كطاحونة هوائية صدئة لا نفع منها ولا ضرر، صوت يأتي من خلفي تبعته ضربة فوق رأسي أفقدتني الوعي في الحال. لا أعلم كم لبثت غائبًا عن الوعي، ولكني حينما أفقت وجدتني مستلقيًا فوق فراش لا أعرفه في غرفة لم أرها من قبل، رفعت رأسي قليلًا لأجد صاحب الكاب جالسًا في هدوء يدخن سيجارة في آخر الغرفة.

- منال فين؟ فين ياسمين وأحمد؟

- اهدا يا يونس، الخبطة ما كانتش بسيطة..

- بقولك مراتي وعيالي فين؟!

- ياسمين مراتك وأحمد ابنك في أمان، هما في بيت يارا أختك وفي معاهم حراسة مشددة!

- انت مين؟

اقترب الرجل مني في هدوء، خلع الكاب لأرى وجهه بوضوح للمرة الأولى. رجل في العقد الرابع من العمر، وجهه ممتلئ بحروق وجروح متناثرة كأنه خرج للتو من معركة عنيفة، أعلم هذا الشخص جيدًا. شخص أحدث معلوماتي عنه هو موته منذ عدة



أشهر في فندق شهير بالإسكندرية يدعى فندق القلب السعيد بعدما احترق الفندق بأكمله وهو بداخله، طه الحسيني[1]!

- طه؟ بس ازاي؟ أنا مش فاهم أي حاجة!

- هفهمك كل حاجة صدقني، بص على الورقة اللي جنبك على الكومودينو وقولي لو فهمت منها أي حاجة.. الورقة دي كانت جنبك لما لقيتك مغمى عليك برا فيلا حسني..

كانت ورقة مطوية بعناية، ظهرها يحمل رسمة لقناع الأرنب وبداخلها كتب بخط أشبه بالخدوش:

"السيد المحترم يونس أحمد ليل.. أنت مدعو للجحر، حضورك حتمي ولا سبيل للرفض. وحتى نتأكد من حضورك فقد أخذنا ابنتك ضيفة كريمة لدينا حتى تنتهي مهمتك، سنوافيك بالتفاصيل قريبًا، ننتظر حضورك بشغف كبير.

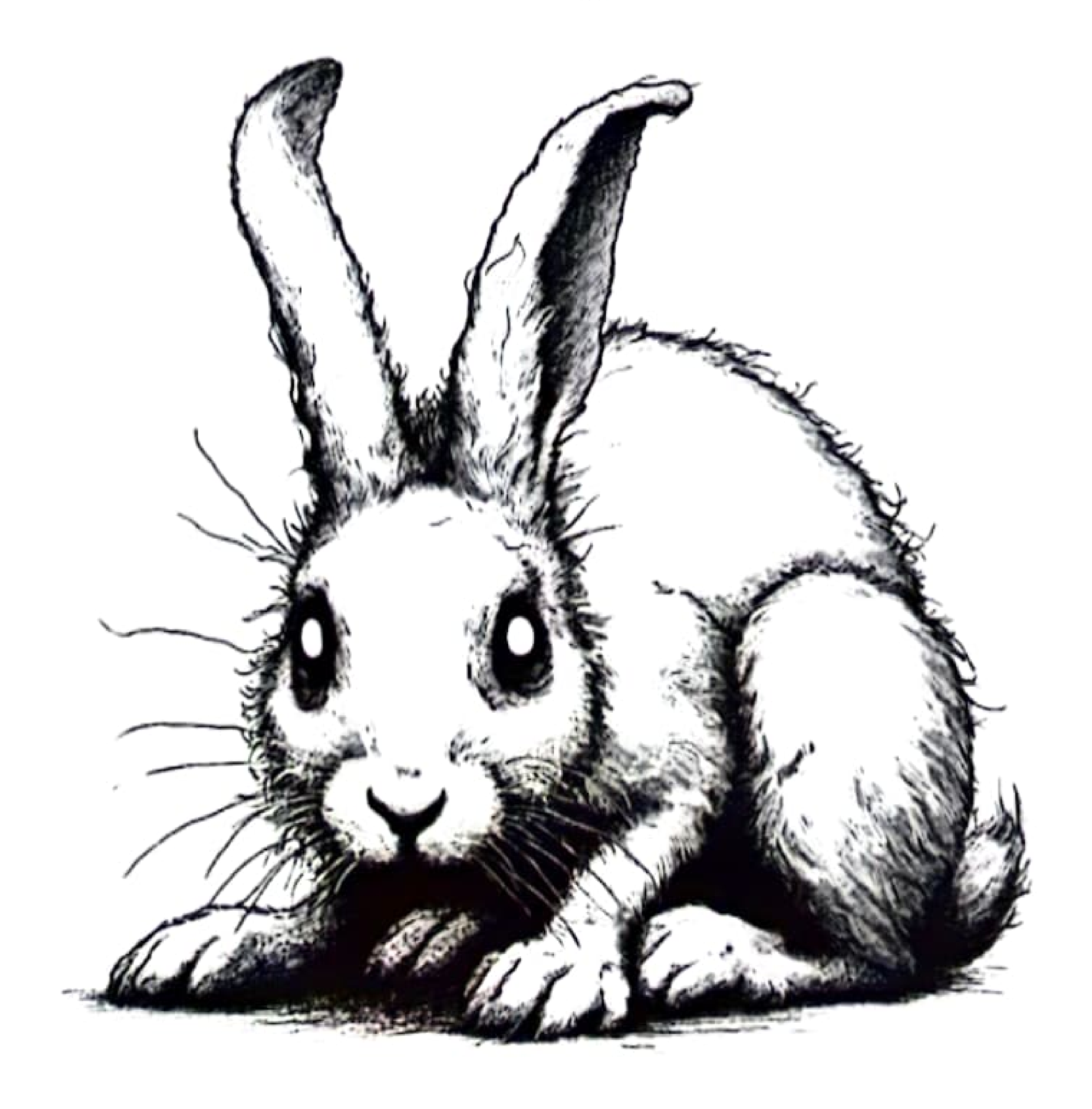
الجحر".

- عندك فكرة إيه هو الجحر ده يا يونس؟

- لا.. بس عندي فكرة إيه قناع الأرنب ده، ونقطة ممكن نبدأ منها!

الفصل الثالث

ماضٍ لم يمُت







القاهرة – ٢٠٠٥

لم أعرف يومًا سر شغفي العجيب بفينسنت فان جوخ، وكأن الله لم يخلق فنانًا غيره في عيني، وكأنه استحوذ على كل لوحات وفرشات العالم. لسببٍ ما أرى دومًا تشابهًا بين قصتي وقصته، لسببٍ ما أشعر بأنه شكَّل جزءًا لا يستهان به من حياتي وشخصيتي.

في الأتوبيس، أمسكت بكراستي وشرعت في رسم نسخة رديئة من لوحة المقهى الليلي، وكأنني رسام مخضرم، اللوحة التي قال عنها فينسنت أنها أسوأ أعماله رغم تفاصيلها المدهشة والحزينة. اللوحة تحمل الكثير من الفلسفة الغامقة، الجالسون على الطاولات في اللوحة، هم مجموعة من السكارى والبغايا، مبعثرين في المكان في شكل يرمز لتبعثر حياتهم نفسها، كل منهم منغمس في كأسه، يشرب ليغيب عن إدراك العالم ووحشيته.

قصد فينسنت التركيز على اللونين الأحمر والأخضر لتضادهما، فالأخضر لون بارد، يرمز دائمًا للخير والأمل، والأحمر لون ناري، متوهج، يعبر عن الشر والعنف، فكأنه قصد بهما الدلالة على مشاعر الإنسان المتضاربة، حروبه الداخلية الضارية التي لا تنتهي أبدًا.



تنظر إليَّ ياسمين في إعجاب مصدره الوحيد حبها لي.

- حلوة الرسمة أوي..

- بحبك لما بترفعي من معنوياتي.. ده نبش فراخ!

- لأ والله حلوة! حُبك لفان جوخ كفاية إنها تبقى لوحة عبقرية..

أعلم أنه يشبهني كثيرًا. كان يبحث فينسنت عن الحب بكل قوته، حب يملأ قلبه الفارغ ويضيء حياته المظلمة، رغم جهوده المضنية، لم يستطع العثور على الحب الذي كان يتوق إليه، تلاشى الأمل من قلبه تدريجيًا، وأصبح يشعر بالإحباط واليأس الشديدين. مع مرور الأيام والأشهر، زادت الألوان المشرقة في لوحات فينسنت تدهورًا، حيث انعكست حالته الداخلية على لوحاته المبدعة، تحولت الألوان الزاهية إلى ألوان مظلمة وكئيبة، تعكس حالة اليأس التي غلبت قلبه، حاول التعبير عن مشاعره وأحاسيسه المكبوتة من خلال فنه، ولكنه لم يجد الارتياح الذي كان يبحث عنه.

ترى هل سأعيش وأموت في عذابي أم أنني سأكون أكثر حظًا منه؟!

كنا يومها في رحلة للفيوم مع الكلية، أجلس في مقعدي ويدي لا تفارق يد ياسمين. أشكر الله في كل لحظة على نعمة وجودها في حياتي ونعمة حبها لي، لا أعلم تحديدًا نوع الخير الذي فعلته في حياتي حتى أستحقها.



هل هو عوض من الله بعد كل ما مررت به في حياتي؟ هل بعدما فقدت أبي وأمي وهبني الله حبًا لم أتمنَّ غيره؟ الشاب الأسعد والأوفر حظًا في هذا العالم هو بكل تأكيد أنا، والفتاة الأجمل في هذا العالم هي بلا تفكير ياسمين.

تنظر هي في الطريق إلى الفيوم من النافذة وتشاهد المزارع الخضراء والحيوانات في سعادة وطفولة أعشقها، أمسكت يدها وأنا أقبلها وقلت في سعادة:

- في يوم من الأيام هيبقى عندنا مزرعة زي اللي على الطريق دي..

ضحكت في دلال وقالت متسائلة:

- هتسيب شغلك وحياتك وتقعد تزرع وتربي فراخ وبقر وكلاب؟

- دي حاجة نفسنا فيها أنا وانتِ من زمان.. وبعدين كفاية إننا هنبقى مع بعض يا ياسمين!

نظرت في عيني وقالت مبتسمة في خجل:

- أنا أكتر واحدة محظوظة في الدنيا دي..

كان أسوأ ما في تلك الرحلة هي وجود دكتور هارون معنا، يقف كغراب أسود أمام نافذة بيتي يراقب من بالداخل في صمت كريه ومخيف. كم يكرهني هذا اللعين! لا تتوقف عينه عن الدوران لمكان جلوسي ورمقي بنظرات تشبه قلبه الأسود، ورغم أنني كنت أفعل المستحيل لأتحاشاه إلا أنني كنت أشعر بشيء غير



مريح بخصوصه. بعض البشر نكرههم ويكرهون وجودنا بلا سبب ملموس، أومن بالحب من النظرة الأولى، إلا أن الكره من النظرة الأولى موجود أيضًا. لكن بغاضته لم تكن الدافع الوحيد وراء كرهي له، غموضه وارتيابي منه كان سببًا كافيًا لأكره دكتور هارون كل الكره.. هذا الأقرع اللعين يخبئ شيئًا ما!

هادئة الفيوم مثل معزوفة من الكمان ممتزجة بموسيقى ألكسندر ديسبلات، لا أسمع صوتًا يخرج من ضلوعها باستثناء غناء الطيور وضحكات سعيدة يتبادلها الجميع، إلا هذا الهارون الذي يرتدي حلة كاملة لا تتناسب تمامًا مع أجواء المكان، إلا أنها تتناسب تمامًا مع هيئته الغريبة وروحه الغامقة، لا يبتسم لأحد ولا يتحدث مع أحد. يرمقني بنظرات ساخطة أتجاهلها تمامًا حتى لا أعكر صفو اليوم. إلا أن فضولي الدائم كقط سيامي متمرد جعلني أتبعه بعيني في كل مكان فور وصولنا الفيوم، انتهزت في منتصف اليوم فرصة انشغال ياسمين مع أصدقائها لبعض الوقت وسِرتُ خلفه، وكم كنت محقًا، هذا اللعين لم يسافر معنا لحبه في الإشراف أو الاستجمام أو حتى لفرض سلطته، هو هنا لشيء آخر لا ينتمي للتدريس ولا لعمله كأستاذ جامعي.

وفي بقعة ما بالقرب من مرسى المراكب، بالقرب من وادي الريان، كان في انتظاره رجل ثلاثيني غريب الهيئة، أخرج هارون من جيبه ملفًا وناوله للرجل وقال له بصوته البشع:

- كل حاجة جاهزة يا نونو؟

- النونو دايمًا جاهز يا هارون باشا وانت عارف، النونو الكل



حبيبه وزبونه.

- الأوراق دي تخلص في أسرع وقت، ومش هفكرك بأهمية السرعة!

بعدها أخرج هذا النونو من جيبه صندوق صغير للغاية يحمل رسمًا ما، ناوله لهارون والذي وضعه بسرعة في حقيبته الجلدية وهو ينظر حوله ليتأكد أن لا أحد يراقبه.



الفصل الرابع

أرنب قديم في عالم جديد





سنوات وأنا أعيش في عزلتي لا أكترث للماضي، سنوات وأنا أتناسى وأتعافى من ذكريات شوهتني كليًا من الداخل، ولكنني في الأغلب كنت أتعافى كي أستعد لحرب جديدة.

في طريقي إلى الفيوم، تأملت العالم الجديد الذي لا أعرف عنه أي شيء، تغيرت الشوارع، حتى ملامح البشر تغيرت كثيرًا، أو ربما أنا قد اعتدت السلام وصوت الموج لسنوات طويلة ونسيت قسوة البشر، اعتدت أن أعيش الحياة الأولى للإنسان بلا هموم أو صعاب، ولكن هل عاش الإنسان يومًا بلا حروب؟

أمام قصره بالفيوم، وقفت متسمرًا أتذكر المرة الأخيرة لي داخل جدران هذا المكان. حنين تلوح بيد تملؤها الدماء وهي تبتسم في شر، المرة الأخيرة لي في هذا القصر كنت متأكدًا بأنني قتلت حاتم، ولكنه حي يرزق!

استقبلني رجل الأمن بابتسامة بلهاء ونظرة متسائلة، إلا أنني قطعت فضوله بسؤالي:

- أستاذ حاتم موجود؟ عندي معاه ميعاد.

- نقوله مين؟

- يونس.. دكتور يونس ليل.

دلفت إلى القصر، أشعر باضطراب داخلي وأنا أتبع هذا العجوز ليستقبلني حاتم بابتسامة غريبة، ابتسامة لا تتناسب تمامًا مع كل ما مررنا به سويًا، ترحاب غير مبرر واحتفاء لم ولن أصدقه.

- وحشتني يا دكتور!



تجاهلت كذبته وقلت في سخرية مشيرًا إلى شعره الأسود المبتذل:

- حلوة الصبغة.. ما بتحبوش تكبروا يا بتوع الفن.

ضحك في توتر وقال:

- ضريبة الشهرة بقى يا صديقي، الجمهور بيبقى عايز يشوفك دايمًا في أحسن صورة، تشرب إيه؟

- لا أنا مش جاي أشرب، انت عارف كويس أنا هنا ليه يا حاتم. إيه اللي فكرك بيا بعد كل السنين دي؟ إيه اللي خلاك تفتح من تاني الباب ده؟ بنتي فين يا حاتم وعايز منها إيه؟

نظر إليَّ في شفقة قبل أن يدعوني إلى الجلوس ويغيب بعدها للحظات ثم يعود إليَّ وهو يحمل في يده صندوقًا مماثلًا لهذا الذي أرسله لي منذ عدة أيام، جلس أمامي وقال في جدية تامة:

- أنا ماكنتش عايز أفتح أي أبواب يا يونس صدقني.. أنا آخر واحد في الدنيا ممكن يكون بيدور على متاعب وخصوصًا بعد كل اللي وصلت له، ولا كنت أتمنى إني أقعد معاك في مكان واحد بعد كل اللي حصل زمان..

أجبته غاضبًا:

- أمال إيه؟ قررت فجأة إنك عايز تخسر كل حاجة؟ ولا اليومين دول مفيش تصوير ولقيت نفسك زهقان؟

- ما سألتش نفسك أنا جبت القناع ده منين؟ مش ده نفس القناع اللي والدك الله يرحمه إداهولك زمان؟ مش ده نفس



القناع اللي بتشوفه من زمان في كوابيسك؟

ألجمتني كلماته، لم أشعر بكل هذا القدر من الخوف منذ وقت طويل. كيف يعرف حاتم كل هذا؟ ماذا يريد؟ ماذا يريد مني؟

- احكي يا حاتم...

- تعرف إيه عن الجُحر يا يونس؟

نظرت له بتعجب وقلت في عدم اكتراث بدا جليًا على ملامحي:

- يطلع غيه الجحر ده يا حاتم؟ فاكرني هساعدك في لعبة جديدة؟

- أمي بقالها أكتر من سنة عايشة في مصحة نفسية، اتشخصت من ٣ سنين بإنها بتعاني من وسواس قهري، وقتها جبت لها مرافقة بس لما الموضوع اتطور وديتها مصحة متخصصة..

نظرت له بغضب، وأنا أتساءل بيني وبين نفسي: ما علاقتي بكل هذا الهراء؟!

- أنا مش فاهم حاجة! إنا إيه علاقتي بكل الكلام ده؟ لو بتدور على دكتور نفسي شاطر يبقى أنت جيت للشخص الغلط يا حاتم..

الغضب يسيطر على ملامحه ليقول بصوت مُنفعل:

- اسمعني لحد الآخر! صدقني الموضوع أكبر من كده، من أسبوعين أمي اختفت من المصحة، بلغت البوليس وعرفت من المحقق اللي ماسك القضية إن أمي مش أول حد يتخطف خلال السنة دي..



إلا أنني أجبته بملامح ما زالت لا تفهم ما وراء قصته:

- هي مش حالات الخطف شيء طبيعي وبتحصل؟ خصوصًا كمان إنك فنان مشهور وغني، أكيد اللي خطفها هيطلب فدية..

- اللي مش طبيعي إن حالات الخطف اللي اتكلم عنها المحقق هي حالات خطف لمرضى نفسيين! معظمهم بيعانوا من حالات نادرة ومتلازمات نفسية غير مألوفة..

قلت متأففًا بنفاد صبر:

- انت لسه برضو ماقولتليش أنا إيه علاقتي بكل ده!

- من كام يوم جالي الصندوق اللي بعتهولك، جالي ومعاه الجواب ده..

ثم أكمل كلامه قائلًا:

- انت مش هنا عشان تساعدني أنا يا يونس!

ناولني حاتم ظرفًا شرعت في فتحه وهو يقول:

- الظرف ده وصل مع الجواب واسم الراسل اللي عليه (المُجْر)، الصور اللي جواه تخصك.

وحقًا ما رأيت بداخل الظرف أجمني تمامًا وبخر الدماء من عروقي. محتوى الظرف كان صورًا فوتوغرافية لم أكن أعلم بوجودها من الأساس. الصورة الأولى من حفل زفافي أنا وحنين، والصورة الثانية من حفل زفافي أنا وعصفورة، والصورة



الثالثة من داخل بيتي بالساحل الشمالي أحتفل بعيد ميلاد ياسمين العام الماضي، والصورة الرابعة لأبنائي يلعبون على الشاطئ وأنا أجري الى جوارهم بطائرة ورقية عملاقة، والصورة الأخيرة كانت صورة قديمة مهترئة جوانبها.. بداخل الصورة أحمد ليل، أبي.. يرتدي حلة سوداء وربطة عنق سوداء وهو يبتسم، بينما يحمل بين يديه قناعًا لوجه أرنب مخيف ويقف حوله بعض الأشخاص، إلا أن ملامحهم كانت غير ظاهرة تمامًا.

نظرت إلى حاتم باحثًا عن إجابات، باحثًا عن طوق نجاة أو توضيح لأي شيء!

- أنا.. أنا مش فاهم!

اقترب مني حاتم وقال بصوت خفيض يتناسب مع عمله كممثل:

- أنا وصلي صندوقين يا يونس، الصندوق ده واللي فيه مشاهد خاصة جدًا من حياتك، وصندوق تاني جواه صور ليا أنا! وكأن اللي بعتهم بيقولي إننا مربوطين بمصير واحد!

- مين ممكن يكون بيراقبنا؟ وليه؟ وعايزين إيه مني ومن بنتي؟ عايزين إيه من أمك؟ وإيه أصلًا علاقتي بيك عشان يتبعت لك انت الصندوق ده؟

- الإجابات في الجحر يا يونس أيًا كان هو إيه.. الصور دي معناها إنهم عايزينك من زمان لسبب ما، عارفين كل حاجة عنك وعني، يعني إحنا مصلحتنا واحدة! وخطفهم لبنتك ولأمي معناه



إنهم عايزين حاجة كبيرة ومش سهلة!

ربت على كتفه وقلت:

- أيًا كان إيه الجحر ده ومين اللي ورا كل ده، هنعرفه ونرجع بنتي وأمك، ماتقلقش يا حاتم!



الفصل الخامس

خنزير بري وأرنب نحيل







القاهرة - ٢٠٠٥

أعيش داخل الحائط لا بجانبه، أعيش كأرنب مذعور يطارده صيادٌ ماهر يصطاد فقط لمتعته الخاصة. أهرب من وحدتي في صوت ياسمين ودفئها، أهرب من هارون اللعين في لوحاتي وفرشاتي. في الأغلب لم أكن يومًا رسامًا بارعًا، فقط أجد راحتي وسكون روحي بين الألوان والأوراق البيضاء.

- كنت عارفة إني هلاقيك هنا!

كنت جالسًا فوق سطح الكلية مثلما أفعل دومًا كلما حاولت الهروب من ضوضاء عقلي وعبث البشر اللا منطقي، إلا أن ياسمين كانت دومًا بارعة في العثور عليَّ، وكم كنت أحب هذا.

- انتِ عارفة إني مش بحب الدوشة، فوق أريح بكتير من تحت.

أخرجت من حقيبتها صندوقًا صغيرًا وناولتني إياه وهي تبتسم في حب:

- كل سنة وأنت طيب يا حبيبي..



- تعبتِ نفسك! والله وجودك أحلى من كل الهدايا اللي في الدنيا يا ياسمين..

كنت قد اتممت عامي العشرين منذ ساعات، لا يحتفل أحد بي سوى ياسمين، لا يرى ألواني الحقيقية أحد سوى ياسمين، لا يبعث بداخل قلبي السعادة والحياة أحد سوى ياسمين. أعيش بين حضن أختي وأمي الثانية يارا في سلام لم أعثر عليه في سنوات طفولتي، لم أعرف السعادة حقًا حتى بدأت حياتي الجامعية وعرفت ياسمين، الحب الأول والأخير. الملاذ هي، الصديق الحق والعالم بأسره لشخصٍ لم يعرف معنى الحب الصادق في بيته إلا قليله.

في اليوم التالي، اقتربت مني وأنا منهمك بين أوراقي في الجامعة أستمع إلى موسيقى بيتهوفن في الـ CD Player الخاص بي.

- بتعمل إيه؟

قالتها ياسمين وهي تسحب السماعات من أذني في دلال.

- دكتور هارون دبسني في بحث عشان يعلمني الأدب ويحرمني أساعد أي حد بعد كده.

- سيبك منه، انت عارف هو ليه مش بيحبك، هو عارف إنك شاطر وده بيرعبه.

- مشكلة الناس اللي زيه إنهم بيمنعوا خير قدره يوصل للي محتاجه، وأنا هفضل أساعد، حتى لو كان رفدي على إيده..

أكره الخنازير، هم أبشع كائنات على وجه الأرض وأقذرهم، ولا أقصد الثدييات العملاقة التي تمشي على أربع، بل أقصد

خنزيرًا محددًا يدعى هارون، يعكر صفو حياتين أحاول جاهدًا تجاهله، إلا أنه كسائر بني جنسه، كائن يجد سعادته في فرض رائحته الكريهة وقذارته على الجميع. اقترب منا زميلٌ بشوش الوجه وهو يقول:

- يونس.. دكتور هارون عايزك في مكتبه.

- هارون تاني! عايز إيه ده؟!

نظرت إلى ياسمين، إلا أنها ابتسمت في هدوء وقالت أنه لا داعي للقلق، وأنه في الأغلب يريد أن يحل مشاكله معي. بخطوات قلقة ثقيلة توجهت إلى غرفته في الحرم الجامعي، كان الباب مواربًا، دخلت على استحياء لا افهم ماذا يريد هذا اللعين، كان وجهه للحائط، ظللت أعلن له عن وصولي.

- دكتور.. دكتور هارون حضرتك طلبت تقابلني؟

لم يجب، ظننته نائمًا في البداية، إلا أنني عندما اقتربت منه بشكل أكبر، وجدته جثة هامدة بجرح عميق في رقبته ودمه يسيل من كل جسده. تذكرت أبي.. تذكرت مجموعة الأطفال الذين قتلهم زيتون في طفولتي.. ولكن زيتون لم يفعلها!

جريت هاربًا من غرفته قبل أن يراني أحد، وعدت إلى البيت وكأنني لم أر شيئًا.





مدينة لاهاي - ١٨٨١

لشهرين، عاش فينسنت وكلاسين في سعادة وهدوء لا يشوبهما قلق أو حزن. كانت هي السعادة التي طالما بحث عنها طويلًا، حتى إنتاجه الفني أصبح مزدهرًا بعدد لا حصر له من اللوحات.

- هل تريد بعض الطعام يا فينسنت؟

- شكرًا يا عزيزتي، لا أحتاج سوى وجودكِ، أنتِ وحدكِ سبب كافٍ كي أشبع وأشعر بماهية الحياة.

- ألم تمل من رسمك لي كل يوم؟

- سين، أنتِ الشغف الذي ضاع مني لسنوات طويلة ولم أعثر عليه سوى معكِ يا عزيزتي..

كان ورغم كل شيء، ملامح كلاسين يملؤها الحزن، كانت تشعر وكأنها عبئًا عليه، هي أم لطفل وتحمل بداخلها الثاني، تشعر وأن فينسنت يعيش معها ويرسمها في لوحاته كنوع من أنواع الشفقة، لم تكن تعلم أن هذا البائس يراها العالم بأسره، عالم لم يعطِه سوى المرار والألم.



- فور أن أضع مولودي سأساعدك بأي طريقة ممكنة.

- وأنا لا أريد سوى أن تكوني معي، المساعدة الأهم هي أن تبقي إلى جانب روح لم تعرف السعادة سوى في وجودك.



عزيزي ثيو،

متى تحديدًا ينال المرء حريته؟

متى يمكنه أن يحطم حواجز الألم ويفر هاربًا للنور؟

وهل للحرية وجود أم نحن مساجين حياة لم نختَرها؟

فينسنت



الفصل السادس

السكان الأصليين للقلب





"بنقابل ناس نقول عليهم السكن..

براح قلوب والقلب يادوب اتسجن..

وليالي ننادي ونقول عادي يمكن ظروف

وليالي ننادي ونقول عادي يمكن ده خوف!".

- احكي لي يا طه..

قلتها وأنا أصب له الشاي الساخن في شقته بعد عودتي من منزل حاتم نور، شكرني طه على الشاي، أخذ نفسًا عميقًا وبدأ في سرد قصته:

- وقت ما كلمتك من فترة كنت بحقق في جريمة القتل اللي حصلت في فندق القلب، الفندق المشهور اللي في إسكندرية، عرفت بعد السنين دي مين اللي قتل ملك مراتي، كان بيني وبين القاتل خطوة وقررت إني أسامح بعد ما اعترفت لي بكل حاجة، وقتها الحياة أصبح مالهاش معنى، وإني أعيش شبح معاها في الفندق كان هو الحل المنطقي الوحيد عشان أحس إني عملت حاجة واحدة صح في حياتي، عارف لما الخلاص يكون في نهايتك؟

- زي الفراش يا طه.. تعرف إننا نشبه بعض في حاجات كتير؟

- بس انت ما استسلمتش بعد كل اللي حصل في حياتك، أنا سبت نفسي للنار والموت!



- وآديك قدامي دلوقتي آهو.. ده معناه إنك برضو ما استسلمتش!

- ما كنش بمزاجي.. أنا لو عليا كنت هختار الموت.. كنت هختار ملك..

حكى لي طه عن تلك الليلة العجيبة، الليلة التي حبس نفسه في غرفته بالفندق وهو يبتسم في سعادة لشبح زوجته ملك، شاعرًا ولأول مرة منذ سنوات بأنه أخيرًا سيكون معها للأبد كما تمنى دائمًا، وفور أن بدأت النيران في التهام الفندق، أفاق على صوت تحطيم باب غرفته من الخارج على يد سِحر وحبيب [2]، الوحيدين الذين لم تلتهمهما النيران! بكل ما أوتيا من قوة تتناسب مع حالتهما الجسدية والنفسية أمسكا به وهو غارق في رائحة الغاز شبه فاقد الوعي، يسحبانه ببطء حتى أصبح الثلاثة خارج الفندق مرة أخرى قبل أن يحترق القلب بالكامل ويتحول إلى رماد.

أكمل طه قصته والدموع تملأ عينيه، أخبرني كيف وضعه حبيب في الكنبة الخلفية للسيارة وهو يقود مبتعدًا بسيارته اللادا بينما عربات الشرطة والمطافئ تقترب في اندفاع من بعيد إلى مكان الحريق، أفاق بعدها بساعات طويلة ليجد حبيب بوجهه العجوز الصدئ وسِحر بشعرها الأشعث ينظران إليه في حنان وشفقة.

- حمد الله على سلامتك يا أستاذ طه!

نظر إليهما طه في غضب واستياء عندما اكتشف أنه ما زال حيًا، وقال صائحًا بكل ما أوتي من قوة:



- سلامتي؟ انتم طلعتوني من الفندق ليه؟ ده ماكنش اتفاقنا يا سِحر!

ابتسمت سِحر في وهنٍ وقالت وهي تربت على ذراعه:

- انت ما تستاهلش تموت يا طه، حتى لو كنت فاكر إن وجودك مع مراتك هو الحياة، روحك تستاهل فرصة تانية!

- ومين قالك إني ما دورتش على الفرصة التانية؟ مين قالك إني ما حاولتش أدور من تاني على أسباب تخليني أعيش؟

أمسك حبيب يده بقوة وقال بابتسامة لم يعهدها منه:

- كل قلب من حقه يعيش بعد الفراق، بس يعيش الحياة اللي يستاهلها مش الحياة اللي كان فاهم إنه يستاهلها يا أستاذ طه..

- اشمعنى أنا يا حبيب؟ ليه أنا اللي أستحق الفرصة دي؟

- كل السكان الأصليين للقلب أخدوا الجزاء اللي يستاهلوه، صدقني انت الوحيد اللي تستحق تعيش، أكيد في حياتك سبب هتعرفه مع الوقت..

شرع طه في البكاء وهو يحكي تلك القصة، أرى يونس آخر غيري بمأساة أخرى، أتمنى لو يمكنني إصلاح ما أفسده العالم في قلبه، ولكن القلوب لا تشفى من توابع الألم حتى وإن مر فوق العمر عمر، الألم يعيش للأبد كسرطان دنيء ينتظر اللحظة المناسبة ليفتك بالجسد العاجز.

- وإيه اللي خلاك تيجي اليوم ده الساحل؟ عرفت مكاني منين؟

قال طه بابتسامة لا تخلو من الشجن:

- شكلك نسيت إني محقق يا دكتور، خلي بالك انت شاطر أوي في موضوع الاختفاء ده بس أنا برضو طه!

- أنا عمري ما كنت عايز أختفي من حد على قد ما كنت بدور على السلام اللي اتحرمت منه.. بس برضو إيه اللي خلاك تيجي اليوم ده الساحل؟

أخذ نفسًا عميقًا كمن يتذكر شيئًا ما ثم قال:

- بعد ما سِحر وحبيب أنقذوني من الموت، رجعت بيتي بعدها وقررت إني هرجع تاني الشغل، حاجة جوايا قالت لي إن كل اللي حصل ده حصل بس عشان أقدر أساعد ناس تانيين حياتهم تبقى أحسن، عارف في الحياة في كام واحد زيي يا يونس؟ عارف فيه كام شخص بيدور على حد بيحبه ضايع أو حد بيحبه حياته بتروح هدر بسبب الفوضى اللي في العالم؟ بعد ما رجعت الشغل بكام يوم بدأت أسمع عن حوادث خطف مرضى نفسيين من مصحات ومستشفيات، ودايمًا الخاطفين بيبقوا مقنعين بأقنعة على شكل وش أرنب، آخر حادثة بدأت أحقق فيها راجعت فوق العشرين كاميرة مراقبة في أماكن متفرقة لحد ما لقيت كاميرا لاقطة صورة واضحة لوش شخص مألوف بالنسبة لي خلاني أقرر إني لازم أدور عليك وأوصل لك..

- صورة مين يا طه؟!

أخرج طه هاتفه ووضعه أمامي، الآن أنا أمام كابوسي الأغرب



على الإطلاق، هذه الصورة بلا شك تم تعديلها من قبل شخص ما ليعبث بعقلي المسكين، هذه الصورة تحمل بين طياتها الماضي كله والكوابيس أجمع!

إنها هي.. تقود تلك السيارة وهي ترتدي نظارتها الشمسية المفضلة..

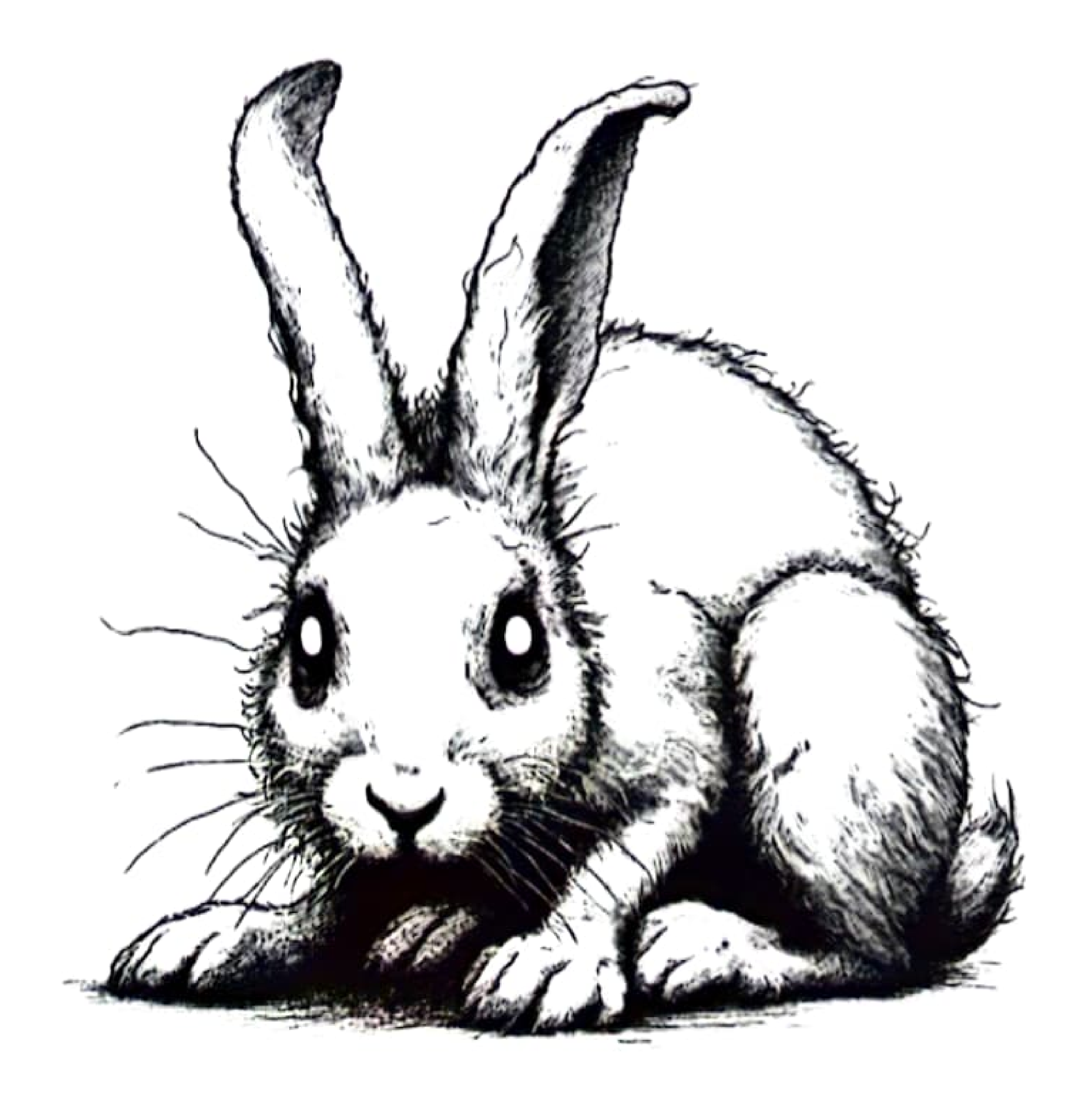
إنها... حنين!

ولكنني أعلم بكل تأكيد أن كل هذا جزء من هلاوسي. رأيتها تموت، بل أنا من قتلها بيده، رأيت القلم يغزو رقبتها.. أنا بلا شك أُهلوس الآن!



الفصل السابع

يونس في بلاد العجائب



وحدي المسؤول عن ضياع ابنتي، ووحدي المسؤول عن إعادتها إلى أحضان أمها في سلام. ترى أين هي الآن؟ هل تجلس في غرفة باردة وحدها تصارع خوفها؟ هل يطعمونها؟ أم أنها لا تتذوق سوى الخوف والذعر؟

جلست أمام الشاطئ أنتظر شيئًا أجهله، ما ألعن انتظار المجهول!

كنت قد انتهيت من مكالمتي مع ياسمين منذ لحظات، أخبرتها أن كل شيء سيكون على ما يرام، وأن ابنتها ستعود إلى أحضانها قريبًا..

- عشان خاطري رجع بنتي يا يونس..

- منال هترجع، والله هترجع يا ياسمين..

أشعر بكراهية وسخط تجاه العالم بأسره، وامتنان لوجود طه الذي ظهر في التوقيت المناسب لسبب لا أعلمه. ولكن أين صديق عمري؟ أين رفيق حياتي الحق؟

إلا أن الإجابة أتت في لحظات، ظهر أمامي طفل صغير يمسك بألعاب الشاطئ منهمك في بناء قصر من الرمال، تعجبت لوجوده وحده تمامًا، لكنه نظر إليَّ وقال مبتسمًا:

- نفسي مرة تفتكرني من غير ما يكون فيه مصيبة في حياتك!

شعرت بارتياح لظهوره، سألته مستنجدًا:

- زيتون! انت فين كل ده؟

- تعبتني معاك يا يونس! طب زمان وقولت عيل ومش عارف



يدافع عن نفسه، وفي المصحة قولت ده غلبان لا حول له ولا قوة، كده تسيبهم يخطفوا منال؟ عيب عليك يا دكتور!

- لو كنت عملت أي حاجة كان ممكن يقتلوها، وبعدين طالما انت شاطر أوي كده كنت فين ساعتها؟!

- انت ما طلعتنيش من مصباح علاء الدين يا يونس! أنا لما بساعدك بعمل كده عشان إحنا صحاب! ما تستناش مني أكون موجود في كل ثانية في حياتك..

- ساعدني أعرف هي فين وأوعدك مش هطلب منك أي حاجة تانية في حياتي!

سكت زيتون للحظات ثم قال بجدية:

- ما تقولش كلام انت مش قده يا يونس، وعمومًا روح افتح الباب، فيه حاجة هناك عشانك!

تركته لأجد صندوقًا آخر ينتظرني على أعتاب المنزل، تبعني زيتون في صورته الأصلية، ربما، بملامحه غير الواضحة وعباءته السوداء الطويلة التي تغطي جسده بالكامل. حملت الصندوق بيدي المرتعشة وعدت للداخل، لم يكن بداخله سوى ورقة صغيرة ملقاة في قاعه، مد زيتون رأسه وقال بسخرية:

- كل الصندوق ده عشان الورقة دي؟

تجاهلته وأخرجت الورقة بعناية، بداخل الورقة طبع QR Code، قمت بمسحه بواسطة كاميرا الهاتف فقام بفتح تطبيق الخريطة، لعنوان بعيد بعض الشيء، أخذت سيارتي في الحال



بعدما أرسلت العنوان لطه كي يقابلني هناك، وبعد ساعة تقريبًا كنت أمام ميناء الإسكندرية. كان طه ينتظرني في سيارته عند وصولي، يحمل حقيبة صغيرة وكأنه علم مسبقًا أننا بصدد رحلة ما.

- ما كانش فيه حاجة في الورقة غير اللوكيشن؟

- لأ.. اللوكيشن ورسمة الأرنب وبس.

جلسنا سويًا لساعات طويلة لا نعلم ما يجب علينا فعله تحديدًا، وبعد خمس ساعات تقريبًا من الانتظار أشار طه بيده إلى إحدى السفن الضخمة والتي تحمل شعار الأرنب الذي كان مطبوعًا فوق الصندوق، وقال:

- المركب دي بتنقل أرانب.. تفتكر دي إشارة؟

- ما عندناش حل تاني غير إننا نجرب..

كنت محقًا، مشينا مقتربين من سيارة نقل كبيرة تحمل عددًا لا حصر له من أقفاص الأرانب، وقال طه:

- اسحب لك قفص وادخل بيه المركب.. أنا هسرق لبس من أي حد وأقعد مع العمال كأني واحد منهم، من لحظة دخولنا المركب إحنا مانعرفش بعض يا يونس..

- خلي بالك على نفسك يا طه..

- لو لينا نصيب هنتقابل تاني أكيد يا صاحبي..

وبعد عدة دقائق كنا بداخل مركب مجهول في عرض البحر ليلًا، لا نعلم تحديدًا أين نحن ذاهبون، يونس في البحر بلا حوت،



يونس في طريقه إلى المجهول باحثًا عن جزء فُقد منه، أغمضت عيني متذكرًا كل ما مررت به طوال كل تلك السنوات، كيف تحول هذا الشاب الناجح والذي كان يجلس في عيادته يتجرع كوب النسكافيه المفضل لديه من يد عم أباظة العزيز لهذا الكائن البائس؟ لماذا لا أحيا حياةً طبيعية في عالم طبيعي وسط أناس طبيعيين؟ ترى أين أباظة الآن من الحياة؟ كم أشتاق إلى الحياة..

- حضرتك دكتور يونس؟

قالها رجل يرتدي ملابس البحارة في ود واحترام فأخبرته بأنني بالفعل يونس، فابتسم قائلًا:

- البحر هينور بحضورك يا دكتور.

لماذا تطاردني الكوابيس في كل أوقاتي وأيامي كأني لم أُخلق إلا للشقاء والبؤس؟ يونس في بلاد اللعنات والألم مثلما كانت أليس تعيش في بلاد تتحدث فيها اليرقات. يونس في بلاد لم تعرف الحب أو الرحمة يومًا، حتى الرحمة التي وثقت بها يومًا كانت إحدى الأكاذيب.

اقتربت من أحد البحارة والذي بدا قلقًا بعض الشيء وسألته عن وجهتنا فقال في هدوء:

- كلها كام ساعة ونوصل يا دكتور.. البحر هيفرح جدًا بتشريفك.

ما زلت لا أفهم سر هذا الترحاب الشديد وغير المبرر إطلاقًا من الجميع وكأنني ذاهب إلى الجنة.



- وكمان تعرفني؟ طب يطلع إيه الجحر ده؟

- مش مسموح أقول أكتر من كده يا دكتور.. ساعات وتفهم كل حاجة من اللي دوره يفهمك.



عزيزي ثيو،

الفضول قاتل، يستنزف مشاعرنا ببطء حتى نتحول رويدًا لكائنات معذبة، تطوق إلى الحقيقة، تطوق إلى الحياة، وتطوق إلى الإجابات مهما كانت مؤلمة وغير منطقية.

فينسنت



الفصل الثامن

يونس يصل إلى الجُحر





ساعات مرت وكأنها أعوام بلا إجابات، ساعات وأنا أشاهد شريط حياتي بأكمله يمر أمام عيني بألوانٍ باهتة وصورة رديئة عفا عليها الزمان، يحاوطني الماء من كل مكان لا أستشف مكاني بأي شكل من الأشكال، حتى ظهرت أمامي جزيرة صغيرة ممتلئة بالأشجار ويتوسطها مبنى ضخم بني اللون نوافذه سوداء بقضبان حديدية سميكة. بعدما اقتربت المركب أكثر وجدت لوحة ضخمة في مرسى القوارب الخاص بالجزيرة كُتب عليها "مرحبًا بكم في البحر - ملاذ الجميع"، خلف اللوحة وقف رجلان يرتديان قمصانًا بيضاء ينتظران وصول القارب في فضول وتوتر بدا واضحًا على ملامحهما، ولما وصلنا اقترب أحدهما مني مبتسمًا وقال:

- دكتور يونس.. نورت البحر.

وقبل أن أخطو خطوتي الثانية باغتني الرجل الآخر بحقنة منومة في رقبتي لأفقد الوعي في الحال..

كأليس..

أسقط...

أسقط...

أسقط...





جزيرة الجُحر - ١٩٩٥

دلف رجل يرتدي بالطو الأطباء الأبيض لغرفة الاجتماعات متهللًا في مبنى الجحر وهو يحمل بين يده بعض الأوراق التي خطت بخط اليد وقال في سعادة:

- إحنا بنقرب أوي.. الجرعة الجديدة جاهزة تتجرب على البشر.

إلا أن أحمد ليل والذي كان منهمكًا في مجموعة من الأبحاث أمامه قال غاضبًا:

- هو انت كل يومين بتقول قربت وتبقى سبب في موت أرنب بشري جديد؟

- بعد إذنك يا دكتور، هو إيه الأرنب البشري ده؟

سأل طبيب شاب عشريني من المتدربين في الجحر:

- العناصر البشرية اللي بنجري عليهم الاختبارات بنسميهم أرانب بشرية، وما نتكلمش تاني من غير إذن.

شعر الشاب بالحرج فالتزم الصمت، نظر الرجل مرة أخرى لأحمد وقال:



- وبعدين في قلبك الرقيق ده يا أحمد! إحنا مش شغالين في عيادة أطفال يا صديقي!

- ماحدش قال كده، بس أنا يوم ما أسست الجحر معاكم أسسته عشان الحلم اللي عندنا مش عشان كل كام يوم متطوع يموت!

- كل حلم بيكون ليه ضحايا عشان يتحقق وينجح، وانت أكتر واحد عارف كده..

- يبقى تخلي الأرانب البشرية آخر حل يا هارون..

قاطعهم شخص ثالث بدا عليه الهدوء والحكمة قائلًا:

- ماحدش فيكم غلط، طريقتكم في حل الموضوع هي اللي غلط، إحنا بدأنا الحلم وإحنا عارفين إن كل الاحتمالات متاحة، طريقتكم مع بعض ممكن تخسرنا كتير..

فأجابه هارون قائلًا:

- انت اكتر واحد مؤمن إن التجارب اللي من النوع ده لازم تتعمل على ارانب بشرية يا نجيب، وده منهجك في المصحة بتاعتك..

أجابه نجيب في هدوء مستفز:

- بس بالعقل.. العقل هو البوصلة يا هارون..

- مش عارف من غير حكمتك كنت هعيش ازاي يا أسود يا أخويا!



أفقت في غرفة غريبة حوائطها بيضاء تمامًا، فراش صغير وزجاجة مياه فوق طاولة بيضاء. لا نوافذ، فقط باب حديدي مغلق من الخارج، أدعو الله أن يكون طه على ما يرام، ادعو الله ان تكون منال على ما يرام والا أكون قد وقعت في مصحة سرية أخرى!

دقائق ظللت قابعًا في مكاني أنتظر أي شيء، حتى دلف إلى غرفتي رجل يرتدي بالطو أبيض، قال مبتسمًا:

- أهلًا بيك في الجحر يا دكتور يونس، أنا دكتور سيف، بعتذر على تخديرك بس في الجحر مش بنحب نسبب أي إزعاج للنزلاء بتوعنا، عشان كده لازم مرحلة التسكين تحصل في هدوء ومن غير أي مشاكل.

- بقى لي أيام بسمع كلمة الجحر وأنا لسه مش فاهم انتم مين، بنتي فين يا دكتور سيف؟

- وجودك هنا شيء كان هيحصل في جميع الأحوال، الجحر هو ملاذ كل إنسان بيدور على راحة من تعبه النفسي، العلاج عندنا بيتم بشكل مختلف عن أي مكان تاني وبنتك في أمان، ببساطة إحنا عايزين منك خدمة، خدمتك لينا مقابلها تاخد بنتك والأهم من كل ده، هتعيش في سلام من غير أي كوابيس بعد كده..

- خدمة إيه؟ تعرف إيه عن كوابيسي أصلًا؟

- تعرف إيه عن الأحلام الجلية يا دكتور؟

الأحلام الجلية.. ويمكن تسميتها أيضًا بالأحلام الواعية، هي



الأحلام التي يدرك المرء أنها مجرد أحلام أثناء رؤيته لها دون أن يستيقظ، أي أنه يعي أن ما يراه من أحداث وشخصيات ليست سوى نتاج عقله، مما يعني أنه بالإمكان التحكم بها. تمثل هذه الأحلام بوابة إلى عالم خيالي تنعدم الحدود فيه كليًا لتفسح المجال أمام القيام بـ "المستحيل".

رؤية الأحلام الجلية أمر متاح للجميع، وهي مهارة ليست صعبة للغاية كما قد تخيلها للوهلة الأولى، فقد أثبتت العديد من الدراسات أن ذلك ممكن فعلًا عند توفر رغبة حقيقية لاستخدام هذه الوسيلة بهدف الولوج إلى العوالم الدفينة خاصتنا. ويتطلب الأمر وضع أهداف محددة حول ما نريده من هذه الأحلام، هل الأمر مجرد تسلية وترفيه؟ أم أنها وسيطة لحل مشكلة يصعب العثور على حل لها في حالة اليقظة؟

وعند البدء بتعلم كيفية الدخول إلى عالم هذه الأحلام، يجب قبل كل شيء التدرب على تذكر الأحلام التي نراها كل ليلة، إذ لا يمكن رؤية أحلام "جلية" ما لم نكن قادرين على تذكر أحلامنا العادية بوضوح. وقد يستغرق تطوير هذه القدرة وقتًا طويلًا، لذلك من المفيد للغاية تخصيص مفكرة للأحلام يتم وضعها قرب السرير، لكي نكتب عليها فور استيقاظنا صباحًا كل ما نذكره من أحلام الليلة السابقة. ومع مرور الوقت سيصبح المرء قادرًا على تذكر أحلامه بتفاصيلها.

عندما تتمكن من السيطرة على أحلامك تكون قد بلغت درجة لا يستهان بها من درجات التحكم بالذات، وبالتالي يسهل عليك معالجة مخاوفك وقلقك القابع في عقلك الباطن، ويمكن أن يتم



ذلك من خلال تجربة الحلم الجلي.

- انتم هنا عشان تتحكموا في أحلام البشر؟

- مش بالظبط.. إحنا هدفنا الحالي إننا نسيطر على كوابيس البشر، نقنن الكوابيس وننقذ مرضى كتير من اضطراباتهم النفسية وعلاجهم من التوتر، الاكتئاب، قلة النوم، الإجهاد النفسي أو حتى الهلوسة، أكيد سمعت عن عمليات الخطف اللي بتحصل كل فترة لمرضى من مصحات ومستشفيات، في الواقع إحنا بنجند أشخاص في كل مؤسسة طبية نعرف منهم عن الحالات المستعصية أو الخطرة اللي فشل معاهم كل أنواع العلاج، الجحر دوره ينقذ المرضى وتحسينهم، إحنا الطيبين يا يونس مش العكس زي ما انت فاهم!

أجبته غاضباً:

- كل ده كلام جميل! بس إنك تجيبني لحد هنا بالطريقة دي وكمان تخطف بنتي! انت كده بتنفي تماماً كل كلمة قولتها بأفعالك! أنا رافض أبقى جزء من الحكاية دي كلها..

إلا أنه ابتسم وقال في هدوء:

- مش دايماً الطرق التقليدية في أي حاجة بتبقى حل! ثانياً أنا عبد المأمور يا دكتور، مش أنا اللي بإيدي أخليك هنا أو أمشيك..

- ومين بقى المأمور ده؟

وقبل أن يجيبني هذا الطبيب دخل علينا الغرفة عجوز أصلع في

يده اليمنى عصا سوداء مرصعة بالماس وقال مبتسمًا في خبث:

- ازيك يا فلتة عصرك وزمانك! خلاص بقيت دكتور قد الدنيا ومش هقدر أقولك حاجة بقى!

يبدو صوته مألوفًا، رأسه الصلعاء أيضًا اعرفها جيدًا!

- حضرتك تعرفني؟

- تصدق خسارة فيك التعليم اللي علمتهولك! أنا دكتور هارون يا واد!

- دكتور هارون مين؟

عدت بذاكرتي لسنوات طويلة مضت، ذكريات جاهدت طويلًا لأنساها أو على الأقل أتناساها، عدت بذاكرتي يوم رأيت هارون مقتولًا في مكتبه غارقًا في دمائه. أين أنت يا زيتون لتخبرني بأنني لا أحلم ولا أتخيل ما رأيت وقتها أو ما أراه الآن؟!

- دكتور هارون شوفته مقتول قدام عيني من سنين طويلة!

- طيب بذمتك! إيه في حياتك منطقي؟ إيه في حياتك طبيعي يا يونس؟

أكره يونس.. أكرهه بصدق وأكره حياته ودهاليزه اللامتناهية.. أكره ماضيه، حاضره وأسراره.. وأكره أن حياتي بأسرها لا تحمل ذرة من المنطق.. أكره أني أعيش كفارس لا يملك من الجيوش سوى نفسه فقط.

- أنا مش فاهم!



- فيه حاجات كتير أوي انت محتاج تفهمها، أو على الأقل تستحق أنك تفهمها بعد كل السنين دي يا يونس! فيه حاجات كتير حصلت في حياتك ما كانش ليها تفسير منطقي! انت عمرك ما كنت مظلوم يا يونس.. انت بس ماكنتش فاهم، أما بالنسبة لموتي فكل ده كان متدبر له عشان أقدر أختفي تمامًا وأتفرغ لمشروعي من غير ما أثير الريبة في الجامعة..

- أرجوك يا دكتور، أنا تعبت من الألغاز ومن الحكاية اللي ما اخترتهاش دي..

- مفيش حاجة مالهاش ثمن، عايز تعرف الحكاية وحل اللغز؟ يبقى هتقدم حاجة في المقابل..

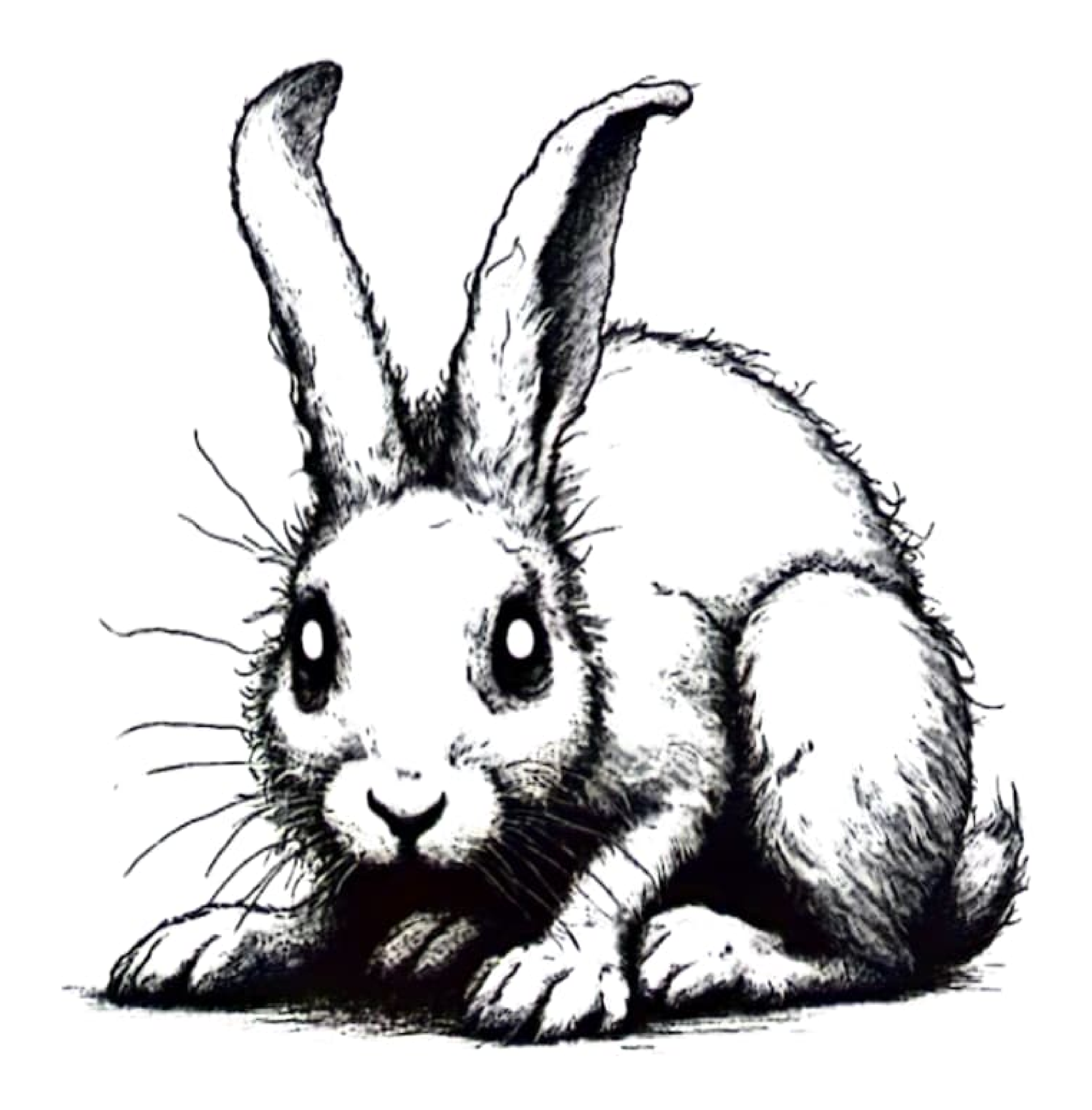
- أنا مستعد أقدم أي حاجة في سبيل إني أرتاح!

- طيب ادخل أوضتك ارتاح والصبح هفهمك كل حاجة، ده وعد.



الفصل التاسع

الأرانب القدامى





في الفراش الأبيض، جلست أتأمل السقف وهو يتحول رويدًا لشاشة عرض، تعرض مشاهد سريعة من لقائي الأول مع حنين، يوم بدأت قصتي معها بفنجان قهوة وحتى لحظة قتلي لها، من المستحيل أن تكون على قيد الحياة! في قصتي الأموات يعودون كثيرًا، ولكن حنين، حنين قتلتها بيدي، رأيت الدم يسيل منها كما سالت ذكرياتي في بحر من الألم. أسمع صوت هارون في أحلام اليقظة وكأنه يراني، ممسك في يده أرنب أبيض بعنف وهو يقول:

- تعرف إن الأرانب بتنام وهي مفتحة عيونها يا يونس؟

- على الأقل بيناموا يا دكتور!

اختفى هارون لتظهر حنين ترتدي فستانًا أسود كلون قلبها وهي تقول في مكر:

- اوصفني يا يونس..

حنين.. أيها الماضي الذي جاهدت لسنوات طويلة كي أنساه وفشلت ببراعة..

حنين.. أيتها الكذبة المتقنة بعناية استثنائية.. جرحكِ كان استثنائيًا بلا شك ولا شفاء منه..

يوم وضعت القلم في رقبتك لم أكن أقتلكِ أنتِ.. بل كنت أقتل نفسي، كنت أقتل قلبي الذي تمناكِ يومًا..

لماذا في قصتي يعود الأموات دائمًا؟ لماذا أرى حياتي أشبه بفيلم أبطاله من الزومبيز؟! يموتون، ثم يدفنون، ثم يعودون مرة أخرى وكأن شيئًا لم يحدث.. لماذا أنا؟ لماذا تم زجي في هذا الجحر المرير؟



لماذا لا يتوقف عقلي عن الأسئلة والافتراضات؟

والسؤال الأهم.. هل كل ما يحدث الآن حقيقي أم ما زلت أجلس على مقعدي المفضل بمنزلي بالساحل الشمالي مع ياسمين وأولادي؟

أعلم أنني لم أتناول أي عقاقير للهلوسة ولا من الفطر السحري الخاص بحنين منذ زمن طويل، ولكن الهلاوس دومًا تجد الطريق الأمثل للوصول إلى حياتي. تذكرت تلك اللحظة حينما أراني طه صورتها، كالمجذوب كنت لا أأفهم ولا أدرك شيئًا أبدًا.

- وهي الفراشة لازم تحط في برطمان يا يونس؟ ماينفعش تتساب للناس يشوفوها من غير ما تتسجن؟

كنت أقاوم النوم بكل قوتي، ولكنني من شدة تعبي سقطت نائمًا لأستيقظ في الصباح على صوت دكتور هارون، هذا العجوز البغيض، يوقظني بصوته المزعج.

- شكلك بقالك سنة مانمتش.. يلا يا بطل كُل فطارك وتعالى أفرجك على الجُحر ونزلائه وأفهمك انت جاي هنا ليه.

نظرت إلى الطعام بشيء من الريبة، إلا أنه قال ضاحكًا:

- ماتخافش.. مفيش magic mushrooms في الأكل يا حويط، اللي عادل كان بيعمله معاك هو وحنين أسلوب رخيص وأنا لو هلعب معاك فهلعب لعبة حلوة غير دي..

تبًا لك يا هارون!



انتهيت من طعامي سريعًا وتحركت خلفه لا أعلم مصيري إلى أين. المبنى عملاق غير مريح للقلب تمامًا، هذا أول ما لاحظته، يمكنك أن تخبئ حوتًا بداخل جدران هذا المكان ولن يلاحظه أحد، أشعر وكأني أسير في مستشفى مبنية بالمعايير العالمية للموت، الجدران كلها تحمل شعار الأرنب في كل مكان، حتى البالطو الذي يرتديه الأطباء والممرضين يحمل نفس الشعار المخيف.

- شوف يا سيدي، الجحر مكان يجمع ما بين المصحة النفسية، المستشفى، دار الرعاية ومعمل الأبحاث، المكان ده اتبنى من تقريبًا خمسين سنة، كنا شلة صُحاب من وإحنا عيال مسميين نفسنا الأرانب، من صغرنا وإحنا عندنا حلم غريب شوية بالنسبة لناس كتير، حلم إننا نتحكم في العقل البشري عن طريق الأحلام، كل واحد فينا كان عنده دافع وكلنا قررنا إننا هنبني الجحر في مكان بعيد عن الناس عشان نقدر ننفذ فيه أبحاثنا عشان نوصل لحلمنا!

- بس حضرتك كنت أستاذ جامعي ناجح، إيه اللي ممكن يخليك تفكر في حاجة زي دي؟ إنك تبقى عايز تساعد مريض من خلال اختراق أحلامه ده شيء لكن تتحكم فيه؟ ليه؟

- ليه ده سؤال إجابته طويلة، خليني الأول أحكيلك عن مؤسسين الجحر وليه انت هنا دلوقتي..

بدأ هارون يريني المرضى بالجحر، أعمار مختلفة وأجناس متعددة، بعضهم يبدو عليه الهلع، هلع صامت كأنهم منومون مغناطيسيًا، عيونهم مفتوحة على مصرعيها، أفواههم يتدلى منها اللعاب ككلب خاض معركة عاتية منذ قليل، والبعض الآخر ينظر إلى سقف



غرفته دون أن يرمش، وكأنه يشاهد عرضًا خياليًا يدور فقط في رأسه، يجلسون فوق مقاعد وثيرة في هدوء، تتدلى من رؤوسهم أسلاك شفافة اللون يتحرك بداخلها سائل أسود لزج عجيب، سألته عن سر هذا السائل وسر هيئتهم العجيبة.

- في الجُحر بنستخدم الأساليب العلمية في البحث والعلاج، مش هتلاقي هنا علاج بالكهرباء ولا غرف عزل، إحنا بقالنا سنين بنحاول نستخرج الكوابيس من البشر.

دلفنا بعد الجولة العجيبة إلى غرفة عملاقة اشبه بمكتبة وأنا أتساءل بيني وبين نفسي عن عدد الغرف في هذا المكان الضخم، اقترب من إحدى أدراج مكتبه وأخرج ألبوم للصور الفوتوغرافية ليجلس بعدها إلى جانبي في مشهد حميمي لم أتخيل في يوم من الأيام أنه سيحدث، هل جلست لتشاهد البوم صور مع شخص يكرهك ورأيته مقتولًا أمام عينك من قبل؟

الإجابة بالطبع لن تكون نعمن إلا إذا كان اسمك يونس أحمد ليل!

- أحب أعرفك على شلة الأرانب يا دكتور، اللي على اليمين ده أنا، وقتها كان عندي شعر لسه، اللي جنبي ده نجيب أسود، وأعتقد انت تعرف هو مين كويس أوي، اللي بعديه والدك الله يرحمه أحمد ليل، واللي على شماله عماد العلايلي، الشريك الرابع لينا..

- الأرانب؟



- عارف إن الاسم ممكن يبان سخيف، دي كانت نكتة بينا زمان، كل واحد فينا إحنا الأربعة كان أرنب بشكل ما، وعشان كده سمينا نفسنا الأرانب.

هل هذا يفسر رؤيتي الدائم للأرانب في كوابيسي؟ لقد سأمت المفاجآت حقًا! ما تلك اللعنة تحديدًا التي تجعل الحياة سلسلة لا تنتهي من الأسرار والكوابيس؟ أبي كان يحمل بداخله العديد من الأسرار وأنا أعلم ذلك جيدًا، ولكن هذا السر كان الأغرب، ما علاقة أبي بهذا المكان وبهؤلاء الأشخاص؟ ما علاقة أبي بهؤلاء الأرانب المختلة وهذا الجحر اللعين؟

ظننت أن علاقة أبي ونجيب أسود لم تكن سوى علاقة عابرة بسبب علاقته وحبه لرحمة والقصة التي جمعتهما سويًا، لم يخبرني هو أو عادل عن علاقة أبي به والتي تعود لسنوات طويلة، لم أعلم أيضًا أن أبي كان صديقًا لهارون، في الواقع ما أكتشفه دومًا هو أنني لا أعلم أي شيء حقًا!

- أبويا إيه علاقته بيك وبالمكان ده؟ أبويا كان تاجر وما كانش مهتم بأي شيء من الكلام ده! أكيد فيه حاجة غلط! انتم عايزين تجننوني؟

- بالعكس يا يونس، أنا جاي عشان أفهمك كل حاجة، لأني الوحيد اللي لسه عايش منهم ودوري إني أنقل كل حاجة لوريث الجحر.. يونس أحمد ليل!



الجحر - ١٩٩٥

- إحنا محتاجين نبني دور جديد تحت الأرض يا عماد، أنا خايف مركب تكون معدية من جنب الجزيرة وتسمع صوت صريخ المرضى، لو أي حد عرف إيه اللي بيحصل هنا هتبقى نهايتنا كلنا!

- كلها أسابيع واللي عايزه هيحصل، أعتقد خبرتي في الفنادق تخليك مطمئن إن دهاليز الجحر هتتبني بأفضل طريقة ممكنة تفي بالغرض، وبعدين قولتلك مليون مرة ما تقلقش، أي حد بيسأل بقول إن ده فرع جديد لفندق القلب تحت الإنشاء، وحتى لو البوليس قرر يفتش مش هيلاقي غير غرف فندقية زي أي غرفة فندق في الدنيا، وكل اللي هنا هيكون تحت الأرض بأمتار.

دلف نجيب أسود إلى الغرفة والسعادة تملأ وجهه وهو يقول:

- الجنين جاهز للتجربة.. مين حابب يجرب؟

ابتسم أحمد ليل في سخرية قائلًا:

- لسه برضو مصمم تسميه الجنين؟ مش حاسس إن الجهاز اسمه لازم يكون مهيب أكتر؟



تدخل هارون ضاحكًا وهو يقول:

- إحنا مسميين نفسنا الأرانب يا أحمد بيه.. وبعدين أكيد نجيب عنده وجهة نظر ورا الاسم ده، ولا إيه؟

- جربوا وبعدها هتفهموا..

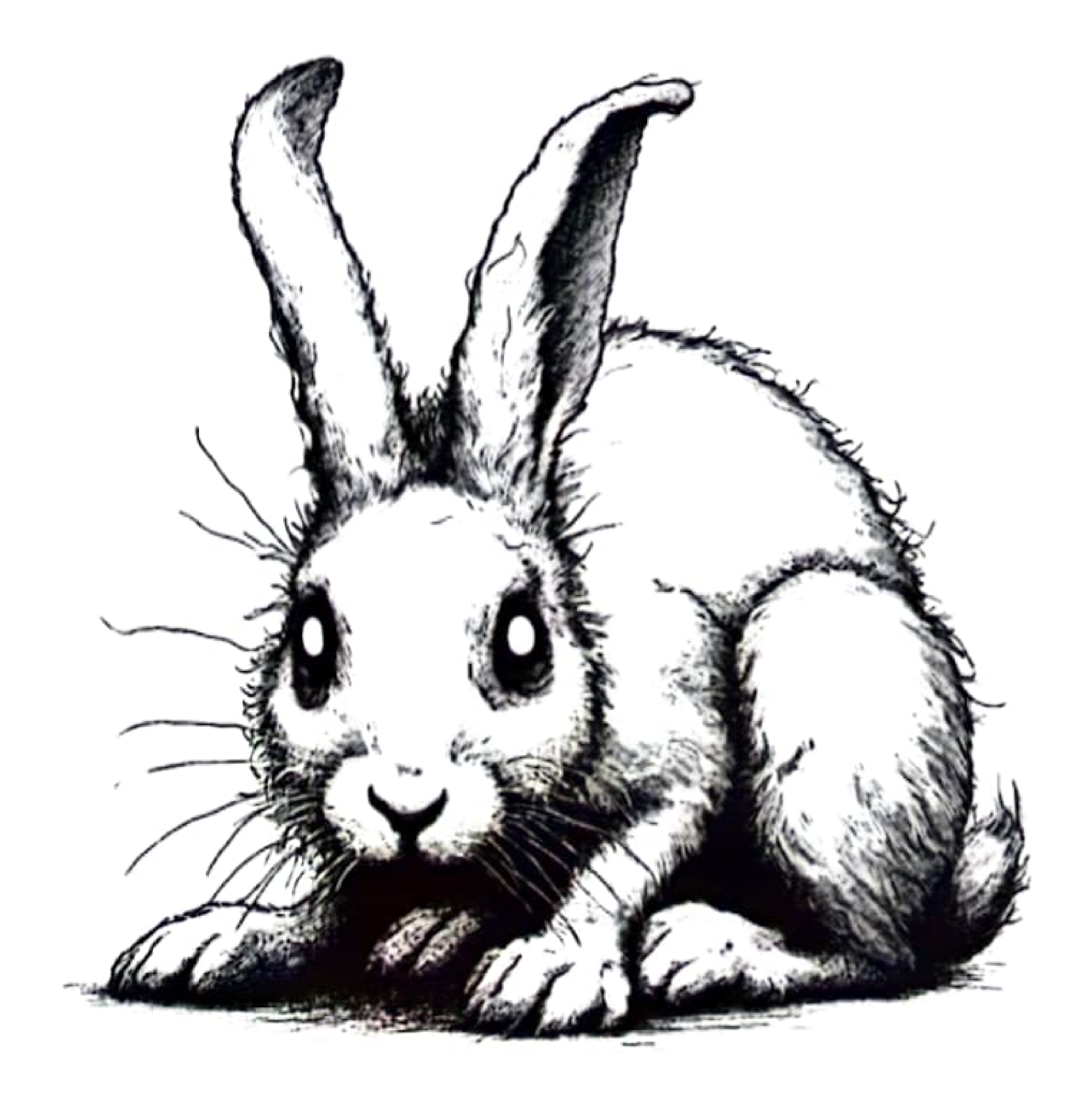
خرج الأربعة حتى وصلا إلى غرفة كتب عليها (غرفة التأمل)، الغرفة من الداخل شديدة الضخامة ذات سقف عالٍ يتوسطها جهاز ضخم أشبه بخزان المياه، بداخله سوائل زرقاء وحمراء ومادة لزجة أشبه بالكيس الأمنيوسي للجنين. ابتسم نجيب وهو يخلع ملابسه ويقول:

- أنا هدخل الأول، هارون ساعدني أركب أنبوبة التنفس وأول ما أبقى جوا الخزان اقعد ورا جهاز التحكم.. التجربة دي هتبقى استثنائية، لسه كمان لما تشوفوا الحلم اللي بقالي سنين عايز أحققه، ساعتها بس هتصدقوا إني قادر أغير العالم.



الفصل العاشر

وريث الجُحر



عزيزي ثيو،

لماذا نَرث اللعنات من أصحابها؟

لماذا يقدر لنا أن نحاسَب على أخطاء لم نرتكبها، فقط لأن مَن تسبَّب في تلك الأخطاء كان من ساكني قلبنا؟!

فينسنت



- وريث الجحر يعني إيه؟ أنا ماليش أي علاقة بالمكان ده عشان أورثه! أنا مش عايز ورث من أي نوع، أنا كل اللي عايزه بنتي وبس يا دكتور.

تنهد هارون ثم قال بجدية:

- مش كل ورث بيبقى ورث اختياري يا يونس، أنا وأبوك صُحاب من وإحنا عيال، ولما كبرنا كان الاتفاق بيقول إن المكان ده يفضل موجود، وإن أكبر أبناء أي حد فينا هيكون له الورث، عادل أخوك الله يرحمه، وسِحر بنت عماد سِنها وحالتها النفسية ما تسمحش، ده غير إننا حتى ما نعرفش مكانها فين، وأنا ولا اتجوزت ولا خلفت. عشان كده انت كان لازم تيجي الجُحر وتستلم ورثك يا يونس.

- ولو رفضت؟ هتقتلني؟

ربت على كتفي في ود وقال بأسلوب درامي لم أقتنع به:

- أقتل ابن أخويا يا يونس! مستحيل! أبوك الله يرحمه وصاني عليك، لكن ما وصانيش على بنتك، لو رفضت يا يونس هسيبك تمشي لكن هتمشي لوحدك ومش هتشوف منال تاني، وعمومًا أنا مش طالب منك كتير، مهمة هتعملها وبعدها ترجع تاني لحياتك المملة، وانسى هارون العجوز وحكايته كلها..

- إيه هي المهمة؟ أنا مستعد أنفذ أي حاجة في سبيل إني أرجع لحياتي اللي انت شايفها مملة دي..

- بتصدق في السحر يا يونس؟





الجُحر - ١٩٩٦

أصوات مخيفة تشبه صوت تهشم الزجاج وعواء يشبه صراخ ذئب يتم تعذيبه وخلع جلده أتت من الدور الأسفل للجحر، تتبعها صرخات متتالية لأشخاص مختلفين. أتى نجيب مسرعًا وهو بملابس النوم حافي القدمين ليرى مشهدًا حرك موضع قلبه من مكانه، أمامه كان يقف كائن عملاق طوله حوالي أربعة أمتار، مغطى بالكامل بعباءة سوداء لا تظهِر سوى فمه والذي تملؤه الدماء وبقايا لحم بشري بين أنيابه، وعلى الأرض كان يوجد بقايا جثث بعض الأطباء ممن يعملون في الجحر. تيبس نجيب في مكانه لا يفهم ماهية هذا الكائن المرعب، إلا أنه أفاق على صوت أجش خرج من هذا الوحش قائلًا:

- بتخاف من الكوابيس يا نجيب؟

- انت.. انت مين؟

- انت واقف قدام كوابيسك وجهًا لوجه يا دكتور.. مبروك!

- كوابيسي! يعني إيه؟



لا أعلم ما اللعبة التي يلعبها هارون، هذا العجوز الذي تجاوز السبعين على أقل تقدير، هرِم أشيب إلا أنه يمتلك عقلًا لم يفقد نضارته حتى الآن، ما زلت لا أفهم ماذا يريد، ولكنني أعلم تمامًا ما أريد أنا.

- إيه علاقة سؤالك بالطلب يا دكتور؟ عايزني أحضّر لك عفاريت؟!

- لا يا خفيف، خلال السنين اللي فاتت كلها كنا بنشتغل على أبحاث وتجارب، سواء على الأرانب البشرية أو الحيوانية وفي الحقيقة وصلنا لنتايج ممتازة وساعدنا ناس كتير، أنا وأبوك كنا ماشيين في طريق وللأسف عماد ونجيب كانوا ماشيين في طريق تاني خالص، إحنا كنا ماشيين في طريق العلم والأبحاث عشان نعالج المرض النفسي بالإيحاء ونزع المشكلة من جذورها وهما كانوا بيحاولوا يطوعوا البشر للتحكم فيهم وتجنيدهم.

- ممكن تشرح لي أكتر يا دكتور؟ إيه علاقة السحر بالأبحاث باللي حصل بينكم وعلاقتي أنا بكل ده إيه؟ وإيه اللي ممكن أعمله عشان أساعد؟

- عمرك سألت نفسك زيتون ده يبقى إيه؟

ألجمتني جملته، سكت للحظات ثم سألته والخوف جلي على ملامحي:

- انت تعرف زيتون منين يا دكتور؟ فرحني وقولي إني دلوقتي بهلوس!



- انت فايق تمامًا. أنا أعرف حاجات أكتر بكتير يا دكتور، بس خلينا دلوقتي في زيتون..





البحر - ١٩٩٦

نجيب أسود.. الشيطان ذاته!

لا يمكن تصنيفه كإنسان، ولا يمكن تصنيفه كشخص عادي. طوال حياته كان يبحث عن المستحيل، طوال حياته كان يبحث عن الماورائيات. وصل به الأمر لرغبة في التحكم في الكوابيس، بل تحويلها إلى كيان ملموس. هل يمكنك أن تتخيل كابوسًا متجسدًا في هيئة بشرية؟

وقف نجيب أمام هذا الكائن المخيف لا يقوى على الحراك حتى كاد أن يسقط من أثر الرعب.

- كوابيسك يا نجيب! يعني تجربتك نجحت، تقدر تفرح أصدقائك من الخرانق، اللي بتحاول تعمله بقالك سنين اتحقق، قدرت تفتح باب بين العالم بتاعكم وعالم الكوابيس!

ابتلع ريقه بصعوبة، ابتسم رغم خوفه وقال:

- أنا حاسس إني بحلم، أنا لازم أكلم الباقيين دلوقتي، ماحدش فيهم هيصدق إن تجربتي نجحت.



- ما تكلمش حد.. أنا عايز يونس.. يونس أحمد ليل!

تعجب هارون من الطلب وسأل بغيظ:

- يونس؟ يونس ابن أحمد ليل؟ ليه؟ أنا اللي فتحت البؤرة وكل اللي فيها أنا السبب فيه! وبعدين ده طفل صغير!

- الكوابيس هي اللي بتختار صاحبها يا نجيب، انت اللي فتحت الباب بين العالمين، بس أنا صاحب القرار! اللي أطلبه يتنفذ بدل ما هتندم إنك فكرت تفتح باب انت مش عارف وراه إيه.

- طيب ممكن أفهم؟ أنا طبعًا هنفذ، أنا ما اقدرش أعمل حاجة غير إني أنفذ..

- كل الأسرار اللي عايز تعرفها عن العالم بتاعنا هتبقى ملكك، لكن في الوقت المناسب، يونس لما يوصل للسن المناسب انت اللي هتساعده يدخل العالم بتاعنا، هو اللي معاه المفتاح، لكن خليك عارف يا نجيب إن لكل فعل عواقب، وإن ولادكم مسير حد فيهم يدفع التمن.

جلس أمامي دكتور هارون وبدأ في سرد روايته، أنصت تمامًا في صمت مطبق، أنصت وأنا أحاول جاهدًا ألا أفقد ما تبقى لدي من أعصاب وعقل. في روايته، بدأ يحكي ساردًا أن في منتصف التسعينات، بينما كان هو وأبي يعملان جاهدين على مشروعهما، تحفيز الحلم الجلي لدى الإنسان واستئصال لُب المرض النفسي من أساسه عن طريق الإيحاء في الأحلام، كان نجيب أسود بمساعدة صديقهم الرابع عماد، يعملان على التحكم في البشر عن طريق تطويع الكوابيس، الأمر قد يبدو غير مفهوم، حكى بأنهم، عماد ونجيب، وبمساعدة مجموعة من السحرة والدجالين استطاعوا تحويل كوابيس البشر إلى كيان حي ملموس بالاستعانة بالسحر الأسود وفتح باب بين عالمنا البشري وعالم الكوابيس.

كان نجيب يستخدم كل الطرق غير القانونية وغير الأخلاقية ليفعل ذلك، ما بين تحضير جن وتقديم قرابين للشياطين، حتى عثر في نهاية الأمر وبعد سنوات من البحث على لعبة تدعى (أرا)، وبعد البحث عن أصل تلك اللعبة تبين أنها تعود لزمن ما قبل الميلاد، لعبة مسحورة تضع من يلعبها في اختيار ما بين الموت أو تنفيذ حكم ما يعرضك للموت أيضًا في نهاية المطاف، إلا أن النسخة التي عثر عليها من اللعبة كانت نسخة أخرى أو لعبة أخرى، قوانينها ببساطة، تقديم جزء منك، لحم أو دم، وفي المقابل يصبح لك خادم من الكوابيس، مطوع لرغباتك وأوامرك طوال حياتك.

- أنا سمعت عن أرا دي قبل كده، بس سمعت كمان عن حاجات كتير زيها وعمري ما كنت بصدق في الكلام ده،



يعني إيه كوابيسي متجسدة في هيئة كائن حي؟ يعني إيه عالم الكوابيس أساسًا؟ زيتون موجود في حياتي من وأنا عيل صغير، من امتى الكوابيس بتحمي يا دكتور؟ لو زيتون هو كوابيسي على حد قولك، يبقى كان دوره إنه يؤذيني مش العكس!

- لما الكوابيس اللي بنعيشها بتبقى أكبر من الكوابيس اللي جوانا، ساعتها الكابوس اللي بنملكه بيبقى أعز صديق..

- كمل الحكاية يا دكتور هارون، أرجوك..

أكمل هارون قصته، حكى أن بعد سنوات قليلة توفي عماد العلايلي داخل جدران فندقه بمدينة الإسكندرية، وبحسب روايته قبلها لهارون، أن سِحر ابنته ماتت قبل وفاته بعدة سنوات، ربما كان يحميها من أن تورث لعنة الجُحر! في نفس التوقيت تقريبًا انتحر نجيب أسود في ظروف غامضة أعلمها جيدًا، وهي تقريبًا نفس الفترة التي اختفى بها أبي، أو كما ظن الجميع وقتها بأنني قتلته في تلك الرحلة البحرية بالفيوم.

وقتها وجد هارون نفسه وحيدًا بين عمله كأستاذ جامعي وبين الجُحر ومرضاه، ولم يقرر أن يغلق هذا المكان بلا رجعة، كان الوقت قد فات، أصبحت الكوابيس هي ما يُدير المكان، أصبحت الكوابيس تأمر وتنهي في هذا المكان الملعون.

- لما نجيب عمل عملته وبدأ في استخدام السحر الأسود، خلق بؤرة بتربط بين عالم الصحو وعالم الموتة الصغرى، أو عالم الكوابيس، وقتها بدأت الكائنات دي تخرج من البؤرة كل فترة، وكل فترة كل كائن منهم كان بيختار رفيقه أو مسكنه

من البشر، وأول وحش خرج كان زيتون، ولسبب ما اختارك انت، زي ما عادل أخوك بقى قرينه نصير، وزي ما كل واحد فينا من الأرانب بقى له قرين، اللعبة اللي لقاها نجيب قدم فيها قرابين مننا إحنا الأربعة، جرح في إيد كل واحد فينا أنا ونجيب وعماد وأحمد أسفر عن تقديم دماء كقربان للعبة، فبالتالي كل واحد فينا إحنا الأربعة أو أي حد من نسلنا هيفضل ملعون بالبؤرة والقرين إلا لو قدرنا نقفلها، هي دي اللعنة يا يونس، وهو ده دورك دلوقتي، الغريب إن كل واحد فينا ظهر له قرين كان بيسبب له لعنة ما أو مرض، إلا انت!

- لما عادل لقاني زمان، كان الغرض الأساسي من المهمة إنه يخليني أساعده نقفل البؤرة مش كده؟ بس الكره اللي جواه خلاه مش شايف غير الانتقام!

- البؤرة اللي فتحها نجيب أسود لسه موجودة، وبتتغذى على الأرانب البشرية اللي هنا، بتتغذى على أمراضهم ومخاوفهم، والمطلوب مننا هنا إننا نفضل نغذيها بالضحايا اللي محتاجاها، يا إما العواقب هتكون وخيمة. الشخص الوحيد اللي قدر يطوع كابوسه كان انت يا يونس! وعشان كده كل اللي حاربك كان بيحاربك بكوابيس الصحو، انت الوحيد اللي كوابيسه قبل النوم، أنا عارف إن اللي بطلبه منك صعب وممكن يكون أقرب للموت، بس انت لو قدرت تطوع بؤرة الكوابيس وتخليها بتستجيب ليك، هتنقذ ناس كتير يا يونس، مش بنتك بس اللي هتنقذها، انت هتبقى بتنقذ أمك كمان اللي هترتاح لما تعرف إن حياتها ما راحتش هدر، في الواقع انت هتكون بتنقذ البشرية كلها من عالم

مش عارفين مخاطره هتبقى إيه لو قررنا نحاربه أو ندخله..



مش عارفين مخاطره هتبقى إيه لو قررنا نحاربه أو ندخله..



الفصل الحادي عشر

فريق من الأرانب البشرية





أنا لم أعد أنا.. يونس الطبيب مُكلف الآن ليصبح يونس البطل، وأنا لم أكن بطلًا في يوم من الأيام، بل كنت أحتقر الأبطال، أراهم مزيفون وضحايا جنون العظمة. مثل هذا الحاتم نور، يرى نفسه بطلًا لأنه أرشدني لبداية الطريق، بينما هو قابع في مسكنه يختبئ من العالم، مثل عادل أسود الذي ظن بتحريكه لقطع الماريونت أنه بطل أسطوري لا يُقهر، مثل نجيب المجنون والذي ظن في فتحه لعالم يتجسد فيه الكوابيس إلى كائنات حية بأنه يغير العالم.

حان الآن وقت مواجهة الحقيقة أخيرًا، كل ما حدث لم يكن وليد الصدفة، لم أكن مضطهدًا، بل كنت ملعونًا. زيتون، هو الحليف والعدو في آنٍ واحد، حنين كانت تنفذ الأوامر حتى يتم الإلقاء بي في عالم الكوابيس. عادل حبه للانتقام أعماه عن مهمته الأساسية نخسر كل شيء، وأبي كان يخدعني أو ربما يحميني، لا أعلم!

الأموات في قصتي يجب أن يموتوا مرتين كي يموتوا حقًا، الأموات في قصتي مثل القطط، بأرواح متعددة، القلب في قصتي خُلق كي يُحطم، القلب في قصتي خُلق كي يُخذل. الجميع في قصتي مزيفون ودوري الوحيد في تلك القصة هو أن أساعدهم بأن يشفوا من لعناتهم وينامون في قبورهم في سكون وسلام، بينما أدلف بقدمي إلى هذا العالم وحدي لأنني ضحيته، أو لأنني سيده.. عالم الكوابيس.

- مطلوب منك تدخل مع زيتون جوا بؤرة صانع الكوابيس، هناك أكيد هتلاقي الحل والإجابات، بمجرد دخولك البؤرة بنتك



هترجع لأمها، دور على اللعنة ودمرها يا يونس، والفريق اللي معاك كلهم من الأرانب البشرية اللي كنت بشرف على علاجهم بنفسي، كل واحد فيهم اتطوع عشان يكون معاك في المهمة دي.

- متطوعين؟!

- تعالى أما أعرفك عليهم..

في غرفة الاجتماعات، كان في انتظارنا أربعة أشخاص، أربعة بكل تأكيد لن تراهم في الحياة العادية إلا في مكانٍ كهذا، لا ينتمون لبعضهم البعض ولا يشبهون بعضهم تمامًا، باستثناء التوأمين، شعرت وكأني قائد يستعد لمعركة مصيرية، ربما أنا كذلك بالفعل!

- أعرفك بفريقك يا دكتور يونس، طيف، من أشطر الحالات اللي عالجتها في السنين اللي فاتت، كانت مصابة بـ(أموك)، الجنون القاتل.

بداية غير مبشرة بالخير أبدًا. في اللغة الإنجليزية، يعد "Running Amok" تعبيرًا شائعًا يصف طريقة التصرف المتوحش دون تحكم، المصطلح أموك، أصله من ماليزيا ويصف الحالة الذهنية للأموكوس، المحاربين القدامى الذين شنوا هجمات هوسية وغير مسيطر عليها، مما أسفر عن مقتل أي شخص اعترض طريقهم. وفقًا لأساطير الملايو، فإن هذه الأعمال كانت لا إرادية وناجمة عن روح دخلت جسد المحاربين وأجبرتهم على التصرف بعنف دون أن يدركوا ما يفعلونه.



- أول نوبة قتل جاتلها كان سنها في الوقت ده عشر سنين، بالمناسبة كانت بتتعرض للتنمر زيك بالظبط في طفولتها، وفي يوم مجموعة من البنات كانوا بيتنمروا على شكلها، لا إراديًا طلعت المقص اللي بتستخدمه في حصة الرسم وقتلت خمس بنات منهم من غير ما تحس إنها بتعمل كده، وبعدها بأربع سنين الموضوع اتكرر تاني معاها في سجن الأطفال، وخلال السنين الكتير بعد الحادثتين دول أنا كنت متولي علاجها وبصراحة أذهلتني..

شعرت طيف، والتي كانت شابة ثلاثينية متفجرة الجمال، ترتدي ملابس رياضية زادت من أنوثتها لسببٍ ما، ببعض القلق الذي ارتسم على وجهي، فقالت ضاحكة لتهدئ الأجواء وهي تمازحني:

- ماتخافش يا دكتور، أنا بقتل اللي بيضايقني بس وانت شكلك طيب.

فأجبتها مجاملًا:

- طيب طمنتيني الحمد لله.

بجوارها كان يجلس شاب في بداية العقد الثالث بشعر مموج وذقن قصيرة يرتدي نظارة طبية ويبدو عليه القلق الشديد.

- ده يا سيدي الباشمهندس يسري، عقل عبقري وقلب طيب، لكن مشكلته النفسية بتعطله في أوقات كتير!

- عندي إحساس إن أستاذ يسري مش مستعد للمهمة يا دكتور هارون!



اقترب هارون من يسري وهو يربت على كتفيه قائلًا:

- يسري مصاب بمتلازمة مونخهاوزن يا يونس، بيختلق أعراض ومشاكل صحية ونفسية كتيرة من ضمنها اضطرابات القلق، بس زي ما قولتلك عقل عبقري هيفيدك جدًا.

أكره ولعي بتاريخ المتلازمات النفسية. لقد اكتسبت تلك المتلازمة اسمها في القرن الثامن عشر من ضابط ألماني يدعى "بارون فون مونخهاوزن"، والذي كان شهيرًا باختلاق روايات وقصص وهمية وكاذبة عن بطولاته ومغامراته في الحرب. منذ ذلك الحين كان يطلق على كل من يقوم بتلفيق الأساطير أو بتلفيق مرضه بأنه مصاب بمتلازمة مونخهاوزن. كما أن المتلازمة يطلق عليها أيضًا "اضطراب إدمان المستشفيات"، لأن المصاب يكون دائم التردد على المستشفيات بداعي المرض. كيف سينفعني هذا اليسري؟

- واللي جنب بعض دول دولت وشوكت، توأم مصابين بمتلازمة نادرة اسمها الذهان المشترك أو Folie à deux، في البداية شوكت بدأت تجيله هلاوس مختلفة ومتكررة وبعد فترة دولت جالها نفس الهلاوس وحتى النوبات اللي كانت بتيجيله بقت بتجيلها هي كمان.

استشفيت من هيئتهم أنهم في العقد الرابع، توأم غريب الأطوار، يرتدي هو حلة تعود إلى السبعينات وترتدي هي فستان عتيق باهت اللون لم أستدل على لونه الأصلي، يبتسمان نفس الابتسامة العجيبة التي أربكتني تمامًا.

(الاضطراب الذهاني المُشترك) هو نوع نادر من أنواع الذهان، يختبر فيها الفرد أوهامًا مطاردة وهلاوس بصرية وسمعية مُختلفة، ويكون ذلك هو الفرد المُحدث، إذ أنه يبدأ بفرض تلك الأوهام على الطرف الآخر الذي يقاوم في البداية، ولكنه سرعان ما يستسلم. ورغم أن سبب هذا الاضطراب ليس معلومًا بالتحديد، ولكن العزلة الاجتماعية لفترات طويلة، والعلاقات طويلة المدى التي تنطوي على درجةٍ عاليةٍ من التعلق، والضغط العصبي الدائم، تُعد من أهم عوامل الخطر المؤدية لهذا الاضطراب، خاصةً إذا كان أحد أطراف العلاقة يعاني من مرضٍ عصابي.

- اتشرفت بيكم كلكم، مفيش حد عندك عنده مرض عادي يا دكتور هارون؟ أنا مبهور بالكوليكشن اللي هنا..

- الأربعة دول بكل تأكيد هيساعدوك، طيف قوية وصلبة، عندها ذكاء فطري، يسري نبيه جدًا وبياخد باله من كل التفاصيل، هتلاقيه دايمًا بيكتب.

نظرت إلى شوكت ودولت اللذين يبدو عليهما البؤس:

- طب وشوكت ودولت يا دكتور؟

- لا دول مش هينفعوك في حاجة، بس طيبين خدهم معاك..

اقتربت منه عدة سنتيمترات وسألته بصوت منخفض باحثًا عن إجابة أعلم جيدًا أني لن أعثر عليها:

- دكتور، حضرتك متأكد إن ده الفريق اللي عايزه يدخل معايا بؤرة الكوابيس؟ الناس دي محتاجة علاج مش رحلة في الأغلب



هتكون سبب في موتنا كلنا!

ابتسم هارون في ود وقال بجدية شديدة:

- الناس دي محتاجة فرصة يا يونس، فرصة ترجعهم للحياة من تاني وتنهي حياتهم البائسة دي للأبد، هو ده العدل. روح ارتاح دلوقتي وبكرة مهمتك هتبدأ.

أراه أنانيًا، ساديًا، منطقيًا في كلماته. ولكنني أمثل العجز بكل ما تحمله الكلمة من معاني، لا أملك سوى الرضوخ لأوامره حتى أنقذ ابنتي وإن كان الحظ حليفي أنتهي من تلك اللعنة إلى الأبد.

في غرفتي الصغيرة، جلست أفكر فيما سيحدث، مهمة غير مفهومة ومصير غير معلوم، ليقترب مني زيتون جالسًا بجواري قائلًا:

- جاهز لبكرة؟

- ما قولتليش ليه من زمان يا زيتون؟ ما فهمتنيش ليه انت إيه؟!

- تفتكر كانت هتفرق؟ أنا عمري ما قصرت معاك في حاجة من وانت عيل صغير وانت عارف ده! كان هيفرق معاك في إيه أنا عفريت ولا قرين ولا كابوس!

دائمًا ما أجد منطقًا ما في فلسفة زيتون غير المنطقية تمامًا.

- كنت هفهم يا زيتون! كنت هفهم أنا ليه في الدوامة دي من زمان!

- صدقني كونك عرفت أنا إيه ماكانش هيفرق أي حاجة في تسلسل أحداث حكايتك، في حكايتك يا يونس كل حاجة هتعرفها أو عرفتها مش هتبقى أكتر من مجرد جزء صغير أوي من الحقيقة كلها.

- هندخل ونخرج من البؤرة مع بعض؟

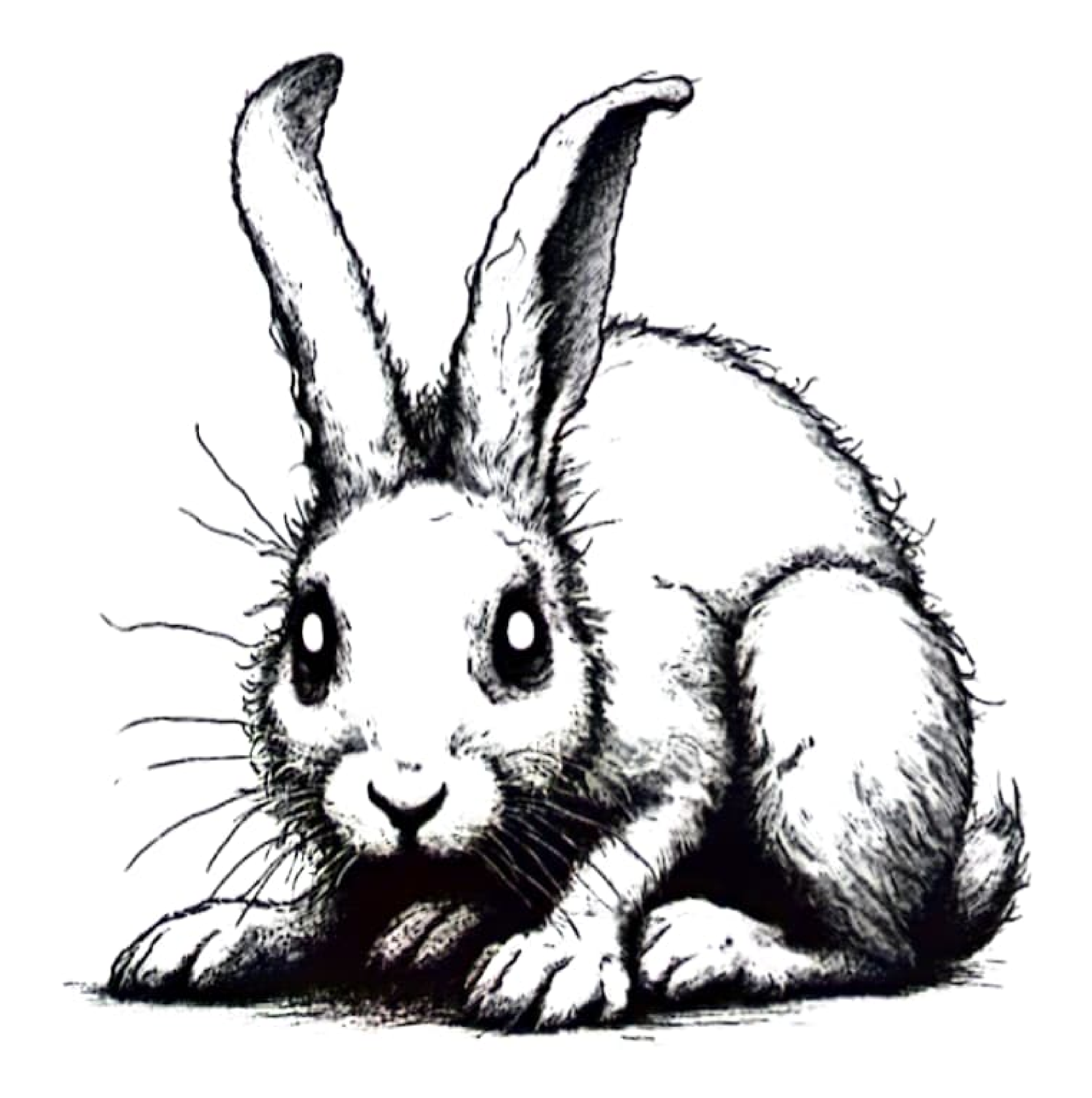
سكت لبرهة ثم قال بجدية لم أعهدها من زيتون:

- دخولك لعالم الكوابيس مش شبه أي حاجة مرينا بيها قبل كده، وعشان كده أنا عايز عينيك مفتوحة، مفتوحة أكتر من أي وقت تاني، مش كل اللي هتشوفه حقيقي ومش كل حقيقي هو الحقيقة..



الفصل الثاني عشر

باب لعالمٍ آخر



في الصباح التالي، كنا نقف في غرفة عملاقة يخيم عليها الظلام إلا من ضوء أخضر متوهج منبعث من باب حديدي ضخم في نهاية الغرفة، الخوف ينخر في عظامي كغراب يدق بمنقاره الجائع في حيوانٍ ميت، وقف دكتور هارون بحلته وعصاه بجانب الباب يلقي علينا تعليماته الأخيرة قبل دخولنا إلى نهايتنا ومصيرنا المحتوم.

- انتم كفريق بتقوموا بعمل عظيم، يمكن باللي هتعملوه ده تكونوا بتنقذوا ناس كتير بس الأهم إنكم أكيد بتنقذوا نفسكم، الأرانب البشرية اللي ضحوا بنفسهم لصالح البحث العلمي هيكونوا سعداء إن تضحيتهم ما راحتش هدر. يونس، بمجرد دخولك البؤرة منال بنتك هتكون في البيت مع أمها وأخوها، وكل الإجابات اللي بتدور عليها هتلاقيها ورا الباب ده.

- إحنا هندور على إيه بالظبط جوا يا دكتور؟

- أبقى كداب لو قولتلك إني عارف، كل اللي أعرفه إنك الوحيد اللي عندك الحل، يا تلاقي المفتاح اللي هيقفل باب العالم ده يا هتلاقي الطريق اللي هيخلينا نتحكم فيه.

كان التوتر يخيم على الجميع، طيف أكثرهم تماسكًا إلا أنني رأيت دمعة تفلت من عينيها الساحرة، يسري يضع يديه في جيوبه ليداري رعشة جسده الجلية تمامًا أما دولت وشوكت بدا الخوف ظاهرًا على عيونهما وأجسادهما رغم سكونهما المبالغ فيه وتلك الابتسامة العجيبة التي لا تفارق وجههما.

إذا بحثت عن معنى جُحر الأرنب ستجد أن معناه لا يتوقف فقط عن كونه منزل الأرانب، بل إنه معنى يُستخدم لوصف



البيئة الغريبة المربكة التي يقع الإنسان فيها ويكون من الصعب تخليص نفسه منها.

لا يعلم الإنسان أنه سقط في أحضان النوم إلا حينما يستيقظ، وأنا لم أشعر بأي شيء وأنا أعبر تلك البؤرة، فقط زغللة بسيطة في عيني من أثر قوة توهج الضوء الأخضر القادم من الداخل وكأني أصبت بعمى مؤقت ليبدأ البصر بالعودة رويدًا رويدًا وبعض التنميل في أطرافي، آخر ما سمعته كان صوت هارون العجوز وهو يقول شيئًا ما بخصوص البحث عن الجذر حتى تلاشى صوته تمامًا.

هل للكوابيس جذور؟ وإن كانت الإجابة بنعم، فكيف سيكون شكلها؟ هل هي كجذور الشجر؟ أم إنها كيان آخر؟

نظرت خلفي لأرى مجموعتي البائسة ولا أثر للباب الذي عبرنا منه للتو، ضحكت في سخرية لشعوري بأنني أقترب من نهايتي، هذا المجنون الذي يدعى هارون ألقاني في بحر الكوابيس وأنا لم أمانع أو أعترض، بل سحبت في يدي أربعة من المساكين الذين لا ذنب لهم سوى أنهم أرانب بشرية، تبًا لهذا المصطلح!

أشعر باختناق.. عيني تؤلمني بشدة..

فور عبورنا من البوابة اختفت تمامًا من خلفنا، صمت مخيف يخيم على المكان، المكان مظلم باستثناء ضوء السماء وبعض المصابيح المتناثرة في الطريق يشع منها ضوء أحمر اللون ككرة من النار، المباني شاهقة تمتد إلى السماء الحمراء تتحدى قوانين الفيزياء بزوايا عجيبة غير مفهومة ولا منطقية للعقل البشري، تشبه المباني في عالمنا



ولا تشبهها، إلا أنني كلما أشحت بنظري عن أحد المباني ألمحها تغير هيكلها وشكلها لشكل آخر، وكأنها تجبرك أن تشك في نفسك وماهية كل ما حولك، الأرض ذات ملمس زيتي تتحرك تحت أقدامي كالرمال المتحركة، الغيوم الخضراء تبدو وكأنها تتنفس في غضب، عالم الكوابيس تتحرك به الكائنات العجيبة أمامي كما تتحرك القطط والكلاب في شوارع عالمنا، بعض الوحوش تشبه البشر إلى حد كبير إلا أنهم يمشون على أربع، عيون حمراء وأسنان حادة كأسنان القروش، البعض الآخر يبدو أنهم أكثر وحشية إلا أنهم يتحركون في هدوء بلا اكتراث لي ولفريقي كأنهم لا يروننا، مخالب حادة قادرة على الفتك بي في ثوانٍ إلا أنها تبدو لا ترى ولا تسمع.

الجو العام يميل إلى الموت.. الهواء صامت لا حركة فيه ولا حياة. كأننا في تابوت عملاق لا سبيل للخروج منه. السماء تشبه مصباح نيون عملاق تتغير ألوانه بين اللحظة والأخرى، تتحول ما بين الأخضر والأحمر والأرجواني، كأنها إشارة للمرور تتغير حسبما يشعر هذا المكان، نباتات وأشجار سوداء عملاقة في كل مكان، خلفها تختبئ كائنات صغيرة الحجم لا يظهر منها سوى أعين صغيرة لامعة، كلما نظرت إليها كلما هاجمتك ذكرى مخيفة من الماضي، الجو العام يميل إلى الجنون، أعلم أنني في عالم موازٍ، أعلم تمامًا أنني محبوس في هذا المكان القميء، إلا أنني لا أستطيع تجاهل إحساسي بأنني أفقد شعوري بهويتي وربما هدفي، كأنني منوم مغناطيسيًا ولا يمكنني الحراك كالملعون بالجاثوم. لا يوجد حولنا سوى أشجار وأعشاب سوداء متوهجة تلمع كقطع من



الأحجار الكريمة، وسرداب علوي طويل لا أرى نهايته، نظرت لهم مرة أخرى لا أعلم تمامًا ما يجب عليَّ أن أقوله، إلا أنني قبل أن أنطق بأي شيء من الهراء الذي أحمله بداخلي لمحت كائنًا ينظر إلينا من وراء إحدى الأشجار، كائن يشبه الضباب في تكوينه وهيئته، بلا وجه، فقط أذرع طويلة تشبه الظل، حاولت الاقتراب منه إلا أنه لاذ بالفرار.

- أنا عارف إننا ما نعرفش بعض، بس إحنا محتاجين نحمي بعض عشان نخرج كلنا من هنا.

اقترب يسري متوترًا وقال في تلعثم:

- كل واحد فينا هنا عشان يلاقي علاج لمشكلته، ده اللي اتعلمناه في الحجر كل السنين اللي فاتت، إن المرض النفسي لازم يتعالج من جذوره، ودكتور هارون قال إن دخولنا هنا هو العلاج الأمثل بما إننا بقالنا سنين بنحاول نلاقي حلول ومش بنلاقي..

- أنا حقيقي مش عارف الجذر ده ممكن يكون إيه، بس أوعدكم هحاول المهم إننا نفضل جنب بعض لحد ما نخرج من هنا.

ضحكت طيف في سخرية وهي تضع أحمر الشفاه في لا مبالاة وقالت:

- مكسوف تقول إنك عايزنا نفضل جنبك؟ يا دكتور الخوف مش عيب، حتى اسأل العيل اللي واقف هناك ده..

نظرت إلى مصدر إشارة إصبعها، كان يقف طفلًا صغيرًا



يمسك بكرة قدم، وجهه ملطخ بالدماء، طفل يشبهني تمامًا، إنه أنا! يونس ذو العشر سنوات.

- بتعمل ايه هنا يا يونس؟

قالها يونس الطفل وهو ينظر إليَّ في شفقة.

- أنا هنا عشانا.. عشان نفهم حقيقة كل اللي عشناه.. وشك ماله؟

- خناقة بسيطة في المدرسة. تفتكر هنقدر في يوم ناخد حقنا من اللي أذانا؟

أعلم أنني في عالم الكوابيس، وأن ما أراه قد يكون من نسج خيالي، وأن على الأغلب لا يوجد شيء منطقي في هذا المكان، ما أراه قد يكون انعكاسًا لعقلي الباطن، إلا أن ما أراه يجب أن أومن به تمامًا وأتعايش معه. أتحدث إلى نفسي إلا أنه أجابني وكأنه يسمعني:

- بذمتك ينفع دكتور زيك يصدق في الكلام الفارغ ده؟ بؤرة وعالم كوابيس!

- انت لسه صغير.. صدقني لما تكبر هتكتشف إن فيه حاجات كتير أوي ينفع تصدقها.

- زي إيه؟

- زي الضلمة يا يونس.. وأنا صغير ماكنتش بخاف من الضلمة، ماكنتش بخاف أنام لوحدي، بس لما كبرت عرفت إن الضلمة



عاملة زي الباب المفتوح، ماتعرفش هيجيلك منها إيه!

قاطعني صوتٌ أعلمه جيدًا، نظرت خلفي لأرى يونس آخر، أصغر قليلًا مني في السن، في بداية عقده الثالث على الأغلب، يرتدي حلة زرقاء جميلة وذقنه أخف من ذقني بلا شعر أبيض متناثر في رأسه، قال وهو يقترب منا:

- هو ده اللي بتعلمه للعيل الصغير؟ مش عيب عليك يا دكتور؟

- مش عايزه لما يكبر يبقى زيي.. مش لازم كل نسخة مننا تعيش مخدوعة.

- مفيش مننا غير نسخة واحدة بس يا ليل!

ثم قبل أن أنطق بحرف واحد تبخرا هما الاثنان في سماء حمراء لا نهاية لها. نظرت خلفي مرة أخرى فلم أجد أحدًا من الأربعة، أشعر بخوف ممتزج بإرهاق مرير، أشعر بأنني في بطن حوت يسبح في الفضاء بلا اكتراث، لن يعتصرني ولن ينثني.

أسمع أصوات ضحكات متداخلة قادم من بعيد، مشيت عدة دقائق حتى رأيت مدينة ملاهٍ صغيرة بها الكثير من الأطفال، ابتسمت واقتربت منها حتى رأيت امرأة رائعة الجمال تجلس بجانب إحدى الألعاب ترتدي فستانًا أبيض وتأكل الآيس كريم، اقتربت منها والدموع تنهمر من عيني وأنا أقول:

- ماما!!

أدارت رأسها لأرى أمي أمامي، كم أشتاق إليها! كم أشتاق لصوتها ودفئها، كم أشتاق أن أنطق اسمها!



- يونس، تعالى يا حبيبي كنت بدور عليك، كل ده بتلعب؟

- ماما، وحشتيني أوي يا حبيبتي.

- تروح انت تلعب وتنساني بالساعات وبعدين تيجي تقولي وحشاني يا ماما! بكاش زي أبوك انت!

كم اشتقت إليكِ يا أمي، كم أشتاق إلى وجودكِ في يومي وتفاصيل حياتي، وجودكِ كان ليجعل كل شيء أفضل بكثير.

- صدقيني يا ماما ماكنتش بلعب، يمكن كنت بجري بس جري عمري ما حبيته ولا اخترته، ماما أنا تعبت، تعبت أوي ومطلوب مني إني أفضل واقف على رجلي وإني آخد بالي على كل اللي بحبهم.

- فاكر أول مرة خدتك جنينة الحيوانات حصل إيه؟ يوميها الحارس جابلك أرنب عشان تشيله وتتصور بيه والأرنب عضك في إيدك، بعدها بقيت بتترعب من الأرانب، فاكر؟

- انتِ عارفة إن العضة دي لسه سايبة علامة في إيدي صغيرة لحد النهاردا؟

- وسابت علامة أكبر جواك، يمكن عشان كده الأرانب فضلت جزء من كوابيسك؟ فيه شيء غريب بينك وبين الكائن ده!

- ليه دايمًا مش بلاقي في كلامكم إجابات، ليه دايمًا بتمشوا قبل الأوان؟ ليه مطلوب مني أبقى بطل؟ أنا مش عايز كل ده!



- الأحلام اللي بنفتكرها لما بنصحى مش بتبقى أحلام، بتبقى رسايل يا يونس.

وكما حدث من قبل، تبخرت هي ومدينة الملاهي بأكملها لأجد نفسي في صحراء باردة رمالها سوداء كالموت، يطوف في سمائها كائنات ضخمة أشبه بقناديل البحر، تتحرك بانسيابية وهدوء في السماء، تلمع مع بريق السماء الحمراء في تناغم.

مشيت طويلًا، ساعات تمر والغريب أنني لا أشعر بإرهاق أو عطش، فقط إحساس لا يتغير بالقلق والخوف وكأني أتنفسه في الهواء، بعد بعض الوقت بدأ يظهر في بعد الأفق جبل أسود اللون تطير حوله كائنات أشبه بالوطاويط، أسفل الجبل كان يجلس النونو في مركب سوداء صغيرة امتلأت عن آخرها بهيا كل عظمية مختلفة الأحجام بداخل بركة من المياه السوداء اللزجة، كان يبدو هادئًا على غير عادته، اقتربت من قاربه وسألته عن مكاننا.

- شريف باشا! دي الكوابيس نورت يا باشا!

- خلاص بقى يا نونو قولي يا يونس، انت بتعمل إيه في كوابيسي؟

- مش كل اللي هتشوفه هنا كوابيسك الأصلية وبس، فيه كوابيس اتزرعت لك لغرض معين..

- ليه ماحدش بيقول جملة مفيدة؟ كأنكم كلكم متجمعين عشان تجننوني أكتر!

- بالعكس، ده أنا جاي أقولك على المفيد، الشرير في الحكاية



أوقات بيكون هو الطيب والعكس، انت اللي طول عمرك بتصدق أوي في الناس وبتدي الأمان بسهولة رغم كل اللي حصلك.

- مين الطيب اللي طلع شرير أو العكس؟

- انت صدقت هارون من شوية صور وحكاوي يا دكتور، هارون رماك هنا عشان يحمي ابنه اللي مفروض يكون هنا مكانك دلوقتي، أو على الأقل يكون معاك.

- ابنه؟ هارون قال إنه لا اتجوز ولا خلف!

- ازاي بس يا باشا! دكتور هارون اتجوز وابنه اسم الله عليه نجم كبير، ابنه يبقى حبيبك، حاتم نور يا باشا!





فندق القلب – ١٩٩٨

جلس عماد العلايلي في مكتبه بالفندق يراجع بعض الأوراق الهامة في تركيز شديد، إلا أنه انساق عن تركيزه على صوت طرق مزعج لباب مكتبه.

- ادخل!

كان الطارق هو هارون، أرشده عم وفيق عامل الفندق إلى الداخل وانصرف، خلع معطفه المبتل بماء المطر غاضباً وهو يقول بصوت عالٍ وجسد يرتجف:

- كان لازم تقابلني هنا! أنا مش بكره في حياتي حاجة قد المطر، جايبني إسكندرية في يناير! أنا كنت هموت بسببك!

ضحك عماد وقال:

- طب وطي صوتك بدل ما يتعرف إن دكتور هارون عنده أوبروفوبيا!

- هتعملي فيها مثقف يا بتاع الفنادق! ده انت أخوك شغال بلياتشو! أنا غلطان إني قولتلك في يوم على الفوبيا اللي عندي.



- لو هتقل أدبك هطلعك برا يا هارون!

شعر هارون أنه تمادى في كلامه، فاقترب منه وهو يمازحه ليلطف الجو قليلًا وقال:

- يا جدع بهزر معاك ما تبقاش حساس كده، احكي لي ليه طلبت نتقابل بعيد عن الجُحر؟

- عشان اللي هقوله دلوقتي ما ينفعش يخرج بينا يا هارون، سر التلاتة سر الجميع، وانت عارف أنا بحبك قد إيه، عشان كده أنا جاي أقولك على الخطة اللي هننقذ بيها نفسنا وننقذ بيها ولادنا كمان!

- أنا مش فاهم حاجة من ألغازك يا علايلي، فهمني!

اقترب منه عماد وقال بصوت خفيض:

- الباب اللي فتحه نجيب بين عالمنا وعالم الكوابيس مش هيجيب غير الدمار، ونجيب قالها بنفسه، البوابة دي اللي هيقدر يتحكم فيها هو وريث الجحر، يعني حد من ولادنا الأربعة، سِحر، حاتم، عادل أو يونس، لازم سِحر تختفي تمامًا أو نقول إنها ماتت، وانت كده كده ماحدش يعرف إنك متجوز ومخلف غيري، يعني انت في أمان، المهم إن حاتم يبقى له اسم شهرة بعيد عن اسمك، ونسيب بقى الحرب تبقى بين يونس ابن ليل وعادل ابن نجيب.

- انت دماغك دي إيه يا راجل! بس افرض اتكشفنا؟ نجيب وأحمد مش هيسموا علينا..

- طول ما إحنا ما بنتكلمش، السر عمره ما هيطلع بينا.



رحل هارون من الفندق ليقوم بعدها عماد من مكتبه مستندًا على جدران فندقه في وهنٍ حتى وصل إلى غرفة سرية مُغلقة بعناية في الدور الأعلى للفندق، فتح الباب وأقفاله بالمفاتيح التي يحمل نسختها في سلسلة يرتديها حول رقبته، ليدخل إلى زنزانة ابنته سِحر المكبلة كالمساجين، يحمل وجهها ملامح الفزع والضعف، اقترب منها في أسى وقال بصوت مهزوم:

- أنا عارف إنك بتكرهيني، وعارف إني في نظرك وحش يا سِحر، بس صدقيني يا بنتي أنا بحميكِ من لعنة إحنا مش قدها، وسجنك هنا أهون بكتير من اللي ممكن تشوفيه برا الغرفة دي!



كنت أشاهد المشهد كَمَن يشاهد فيلمًا سينمائيًا، ضحكت بصوتٍ عالٍ وشرعت في التصفيق كَمَن يحيي بطل الفيلم على أدائه العبقري. أوهم عماد بأنه قتل سِحر كي يحميها من لعنة الجحر حتى انقلب السحر على الساحر. أخفى هارون ابنه وأقنع الجميع أنه أعزب لا وريث له، قُتل عادل تلك الليلة في مصحة الموت الأسود ونال ما يستحقه، لأبقى أنا في النهاية كبش الجحر، طُعم للأرانب وأحمق كبير.

- ده أنا طلعت مُغفل يا نونو، ازاي ما اخدتش بالي لما حاتم كلمني على قناع الأرنب وقالي إن ده القناع اللي بشوفه في كوابيسي من زمان! ازاي ما اخدتش بالي! هارون رماني هنا عشان ينقذ ابنه!

- ما عاش اللي يقول عليك كده يا باشا! انت بس اللي بتصدق كلام الناس بسهولة، دي مشكلتك من زمان، من أيام الفيوم يا باشا..

- والعمل إيه بقى يا عبقري زمانك؟

- سعادتك ما عندكش حل غير إنك تطلع من هنا، أصل لو بعد كل ده دي نهايتك تبقى عيبة في حقك يا كينجيشن! المهم تركز في التفاصيل.

عزيزي ثيو،

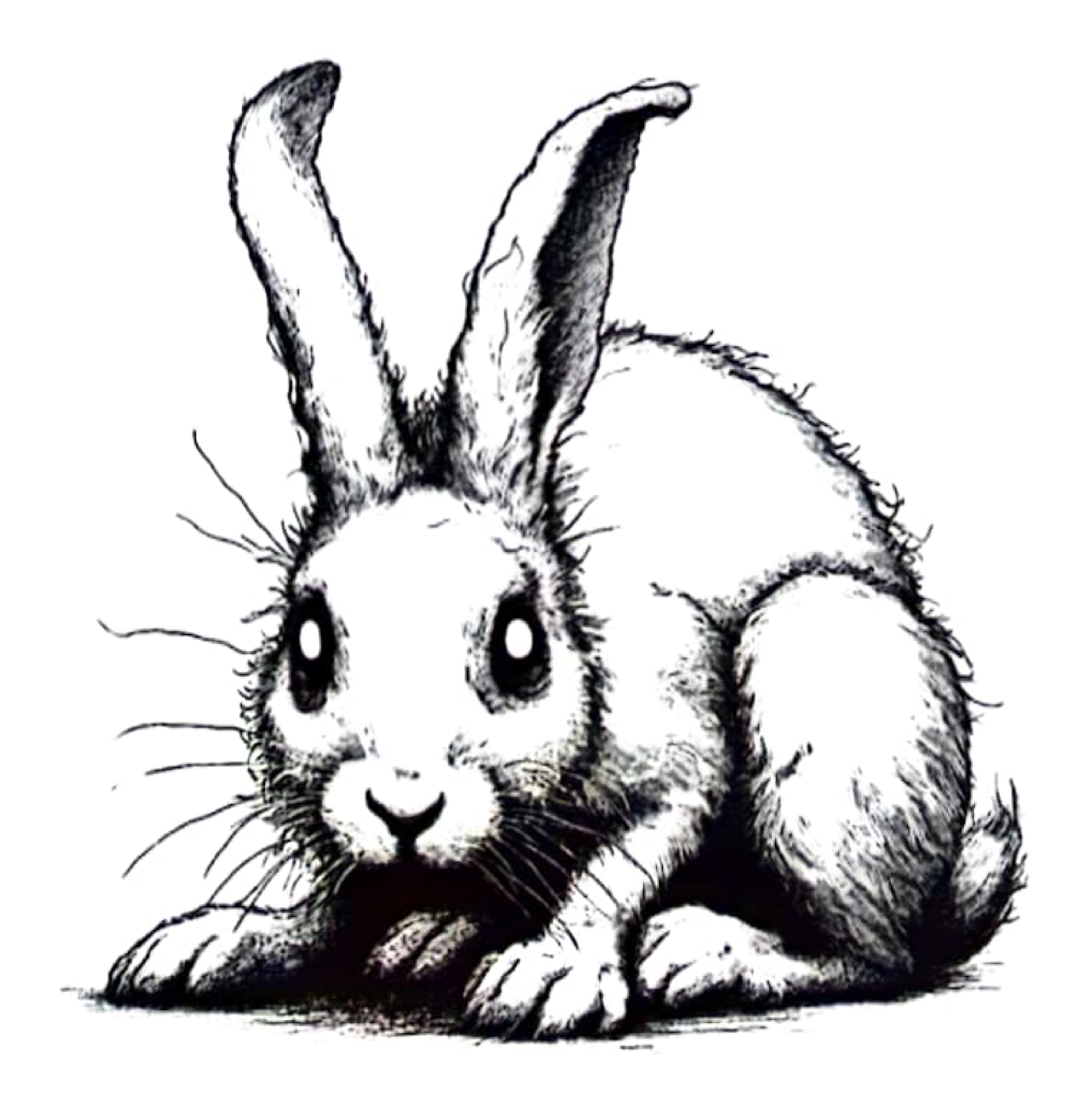
كاذب مَن قال أن الوحوش هم تلك الكائنات التي تظهر في الليل، مكشرين عن أنيابهم يلتهمون ما يرون من مستضعفين، الوحوش تعيش بيننا، يرتدون كما نرتدي ويأكلون مما نأكل، إلا أننا لم نتمكن من التعرف على حقيقتهم بعد.

فينسنت



الفصل الثالث عشر

العمر الافتراضي للحنين



"أنا حبيت صوت أنغام عشان حبك ليها، وكرهتها عن اقتناع لكرهي ليكِ يا حنين".

لم يكذب فان جوخ عندما قال أن البؤس لن ينتهي أبدًا، صادق كان في كل شيء إلا أن العالم لم يفهم أو يستوعب ذلك. ولكن ليس البؤس وحده هو ما لا ينتهي، الكذب يعيش أيضا والخداع. اللعبة التي لُعبت عليَّ تمتد لسنوات طويلة، حاتم نور هو ابن الأستاذ هارون حسين الرفاعي، حاتم نور ليس سوى اسمه الفني، حاتم حسين الرفاعي، الممثل العظيم الذي استطاع أن يقوم بأبرع أدواره على الإطلاق، وكنت أنا ضحية هذا الأداء العظيم، للمرة الثانية. خدعني في الماضي عندما أوهمني بأنه على علاقة بزوجتي حنين وأقنعني بأنني قتلته، وها هو يخدعني مرة أخرى بقصة امه المخطوفة ويلقيني لمصير مرعب، خدعني هو وأبوه اللعين الذي أتمنى أن أسحقه الآن بين يدي.

الآن فقط تمكنت من فهم أشياء كثيرة، الآن فقط اتضحت الصورة بشكل كبير، ليست صورة مكتملة، وإنما صورة اقتربت بشكل كبير من الكمال. تجز النونو هو ومركبه لأجد نفسي مرة أخرى في شارع ضخم يخيم عليه الظلام باستثناء عدة مصابيح يشع منها إضاءة حمراء خافتة عكست لون الدماء على كل أركان الطريق لتضفي مشهدًا مقبضًا للقلب، أنظر إلى نوافذ تلك المنازل على ضفتي الطريق فأراها أشبه بوجوه مخيفة لا ملامح لها.

- إيه؟ حاسس إنك ساذج؟

نظرت إلى مصدر الصوت فرأيت حنين ترتدي فستانًا أخضر



قصير تجلس فوق مقعد ضخم من جلد الثعابين بالقرب من أحد مصابيح الإضاءة والذي كان يعكس الضوء الأحمر المخيف على ملامحها، وكأني أرى شيطانًا بشريًا، تدخن سيجارتها في هدوء، إلا أنها لا تشبه حنين التي أعرفها تمامًا، كان لونها شاحب غريب، وعينها كانت تميل إلى الأحمر الناري.

- حنين..

- ازيك يا يونس؟ هتفضل حياتك كلها عايش نتفرج على فيلم كل أبطاله بيمثلوا عليك؟

حنين، تلك الفتاة التي أحببتها كَمَن لم أحب من قبل، الفتاة التي كنت أطعمها أمانًا وحبًا في كل يوم، وفي المقابل كانت تطعمني هي محفزات الهلاوس وأطنانًا من الأكاذيب، حنين التي تم الزج بها في حياتي حتى أحبها فتخدعني لتصبح نهايتي داخل جدران مصحة الموت الأسود، لم أتخيل أني في يوم من الأيام سأقدم على إيذائها، لم أتخيل أنني في يوم من الأيام سأقف أمامها كما يقف الإنسان أمام عدوه، لم أقدم لها سوى الحب ولم تقدم هي سوى سلسلة من كوابيس الصحو في كل لحظة من لحظات حياتي معها.

- فرحانة فيا أكيد..

- بصراحة بقى لي كتير ما فرحتش كده.. برضو شكلك وانت محبوس هنا له لذة!

- ليه يا حنين؟ ليه بتكرهيني أوي كده؟



قامت من مقعدها تستشيط غضبًا كأفعى المامبا السوداء، تنفث سمها المميت في سئم وبغض.

- وانت ليه بتصدق أوي كده في البشر؟ ليه دايمًا بتفترض إن اللي بيتحكى لك هو الحقيقة المطلقة؟ وبعدين ازاي عايزني أحبك! انت قتلتني يا يونس!

كان يجب أن تموت، بعض البشر لا معنى لوجودهم في تلك الحياة سوى الخراب والشر، أكاد أجزم أن حنين لم تعرف معنى الحب طوال حياتها، البشر الأسوياء تمتلك قلوبهم ولو قدر بسيط من المشاعر الصالحة، أما حنين فكل مشاعرها أصابها العفن، عفن بلا لون ولا رائحة حتى تظل تستقبل ضحاياها في نفها اللعين مثل عنكبوت الأرملة السوداء.

- بس طه.. طه قال لي إنك عايشة! هو شاف صورتك!

- طه فعلًا شاف حنين، بس مين قالك إن حنين اللي شافها هي حنين بتاعتك! فراشتك!

- يعني إيه؟!

وفي ثوانٍ، تحولت حنين لكائن ضخم مخيف يشبه زيتون كثيرًا، يسيل من فمه الدم واللعاب، تمتد أظافره الحادة إلى الأرض لتصدر صوت صرير مزعج بسبب احتكاكها، وقال بصوت مرعب:

- في عالم الكوابيس، هتقابل كائنات غريبة كتير يا يونس، أسوأهم كائن النيدلان، اللي أنا منهم!



- النيدلان!!

- إحنا الكائنات الوحيدة في عالم الكوابيس اللي تقدر تحول لأي شكل أو أي شخص، أنا حتى ممكن أبقى انت! النيدلان دوره إنه يلعب في خلايا عقلك، يخليك تقابل ماضيك ومخاوفك وجهًا لوجه.

وفي الحال، تحول الكائن لنسخة طبق الأصل مني، يرتدي ملابسي وينظر إليَّ بنفس النظرة الخائفة التائهة، يشبهني في كل شيء إلا أن عينه كانت حمراء اللون وجلده يميل إلى الشحوب، ثم تحول مرة أخرى إلى هيئة حنين وبدأ يتحدث بصوتها مرة أخرى.

- أنا عارفة إنك ما اخترتش كل ده، بس أنا كمان ما اخترتش أقع في طريقك! كل حاجة كان مترتب لها من زمان، وأنا زيي زي عصفورة، كنت مجرد ممثلة بتقوم بدورها.

قامت بوضع يدها على رأسي، فعادت تلك الذكرى إلى رأسي في الحال.

- كفاية لعب مع الحيوانات بقى يا حبيبي، هدومك بقى كلها طينة!

- مش انتِ اللي قولتِ لي عايزة تعيشي في مزرعة؟ اتعودي بقى على الطينة والقرف ده كل يوم..

ضحكت ياسمين من هيئتي المتسخة وقالت بسخرية:

- أنا اللي جيبت ده كله لنفسي أنا عارفة..



- يلا تعالي ساعديني.. كفاية دلع يا ياسمين..

ناديت عليها مرة أخرى، لكنها لم تجِب، ظللت أنادي اسمها مرارًا وتكرارًا، ولكنها لم تستجِب، تبع صمتها المقلق صوت صرخة أفزعتني جعلتني أركض صوبها في ذعر لأرى مجموعة من المقنعين يرتدون أقنعة لأرانب مخيفة الشكل يقومون بربطها، تمامًا كالمقنعين الذين قاموا بخطف ابنتي منال، وقبل أن أقترب منها عاجلني أحدهم بضربة فوق رأسي أسقطتني مغشيًا عليَّ في الحال.

- ده اليوم اللي اتحكى لك فيه إنك قتلت ياسمين، فاكر؟ أنا كنت ضمن المقنعين دول، كانت دي مهمتي الأولى، اليوم اللي انت عِشت بذنبه سنين، زي اليوم اللي برضو الجحر خلاك تفتكر إنك قتلت أبوك، بس انت قوي يا يونس! وقدرت تعدي بحاجات صعبة كتير ماحدش فينا لقى لها تفسير لحد دلوقتي..

كان كلامها صادمًا، إلا أنني ورغم كل شيء ابتسمت، شعرت بارتياح غريب أنني ورغم كل ما تحكيه علمت أني لم أظلم أحدًا، هي نالت ما تستحقه بجدارة، كل ما حدث لحنين هو الجزاء الأمثل لقلبٍ لم يعرف الرحمة في يوم من الأيام، اقتربت منها وقلت بابتسامة واهنة:

- عارفة يا حنين، أنا بشفق عليكِ، رغم كل اللي فضلتِ سنين تعمليه فيا بس والله بشفق عليكِ، أنا يمكن ما حستش إني عايش غير مع ياسمين، ما حستش إني عايش غير لما حبيت واتحبيت، وانتِ عشتِ وموتِ من غير ما تجربي طعم الحب ده..

ملامحها المنتصرة بدأت تتغير، التوتر يتملكها والضعف يظهر جليًا في حروفها:

- بس.. بس انت حبيتني يا يونس! مش أنا الحب اللي ابتدا بفنجان قهوة؟ مش أنا الحب اللي عشانه حبست الفراشة في برطمان؟ الحب اللي خلاك تحب صوت أنغام؟

نعم، لقد أحببت حنين ولا يمكنني أن أنكر هذا، أحببتها ووضعت فيها أحلامي وأمنياتي، حتى عندما جعلتني أشك في ماهية كل شيء، حتى عندما جعلتني أكاد أفقد عقلي، أحببتها حبًا لم تستحقه.

- فاكرة زمان لما قولت لك إن الحب عامل زي جبل كبير من التلج، ساعتها قولتِ لي إن التلج مسيره يسيح، دلوقتي وبكل ثقة قادر أقولك إن التلج ساح تمامًا من قلبي يا حنين..

صرخة مدوية مخيفة خرجت من حنين ليتحول الكائن إلى وحش شديد الضخامة، ثم وفي لحظة تبخر ليتحول لتراب أسود، كائنات هذا العالم لا يموتون بالأسلحة، بل بألعاب العقل.. ربما!

أشعر الآن بشعور غريب، هو مزيج من السعادة والراحة، أشعر بالامتنان لهذا المخلوق البغيض الذي أعطاني فرصة لقاء تمنيته طويلًا معها، مواجهة كان لا بد منها حتى تموت بداخلي تمامًا كما ماتت تلك الليلة في مصحة الموت الأسود. في تلك اللحظة علمت تمامًا أن حنين، كسائر الأشياء في حياتنا، لها عمر افتراضي في القلب وقد حان الوقت لإلقائها في سلة النسيان بلا رجعة، حنين لم تكن سوى بالونة امتلأت بالهيليوم مبهجة للعين والقلب حتى



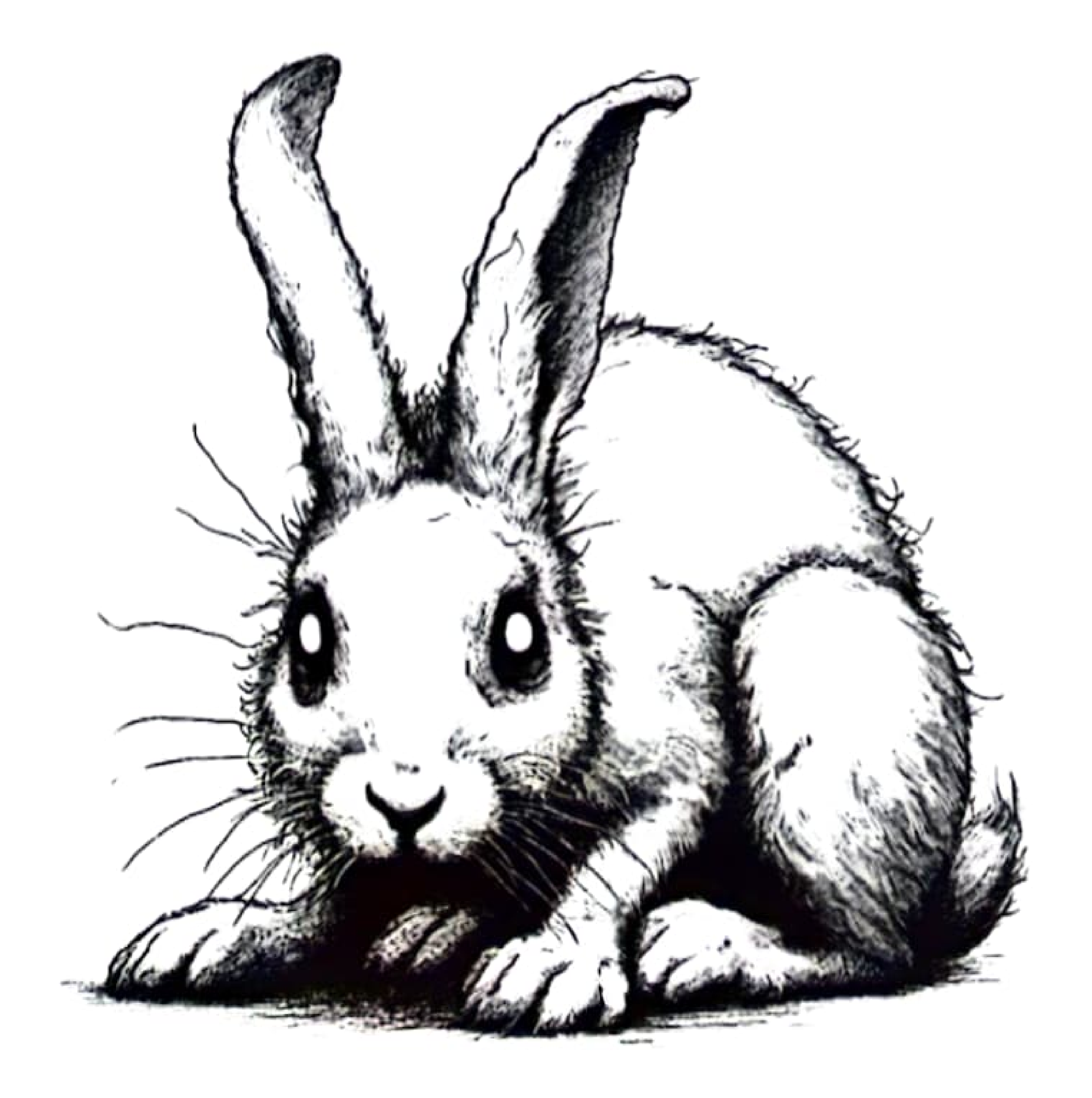
فرغ منها الانبهار تمامًا، فعادت جمادًا مملًا لا نفع منه ولا ضرر.

الآن أغلق صفحتك يا حنين، بلا ندم ولا ذكريات قادرة على أن تلاحقني إلى أي مكان.



الفصل الرابع عشر

عازف البيانو



ساعات مضت بعدما ودعت حنين الوداع الأخير، لا أثر لأي شيء ولا أثر لفريقي التعيس، العطش يتملكني أخيرًا بعد ساعات حتى ظننت أنني لن أعطش في هذا العالم أبدًا، عيني ترى بئرًا أدعو الله ألا يكون سرابًا كما يحدث في الأفلام، أقترب من البئر في وهنٍ، ألقيت بنفسي أرضًا وبدأت في شرب هذا السائل اللزج بسعادة متناهية، طعمه يشبه كثيرًا طعم الدماء إلا أنني لا أملك خيارًا آخر ولا رفاهية الاعتراض، وبينما أنا غارق في سعادتي لمحت كائنًا آخر مخيفًا يقترب مني، كان الكائن هذه المرة يمشي على أربع، يشبه وحيد القرن في هيئته، عيناه سوداء تمامًا وأسنانه بارزة تستعد لالتهامي، يزمجر بصوت يشبه الخوار، فتظهر أنيابه القذرة جلية أمامي، اقترب مني أكثر، أغمضت عيني حتى لا أرى أعضائي وهي تترك بعضها البعض، إلا أن صوت صراخه في ألم جعلني أفتحهما في الحال، رأيت رجلًا يمتطي جوادًا غريبًا، يغرس سيفه في جسد هذا الكائن والذي مات على الفور من قوة الضربة.

قمت من الأرض أزيح التراب عن ملابسي متعجبًا من كوني ما زلت على قيد الحياة، نظرت إليه فوجدته يقترب مني، كان يمتطي كائنًا أشبه بالفرس، عيون حمراء وشعر أسود تمامًا، ينفث غضبًا من أنفه، في الأغلب كائنات عالم الكوابيس بأكملها لونها أسود! أما الفارس فكان مغطى بوشاح رمادي ويرتدي عباءة طويلة، اقتربت منه كي أشكره على إنقاذي إلا أنه ترجَّل من على هذا الكائن، وقال وهو يقرب نصل سيفه من رقبتي.

- انت مين؟ مين اللي باعتك هنا؟



- أنا اسمي يونس.. انت اللي مين؟!

ابتعد الرجل خطوة إلى الخلف وهو يزيح الوشاح من عليه، كان رجلًا في العقد السادس أو بداية عقده السابع، وسيم رغم سنه الكبير، ما زال محتفظًا بقوته وصلابته، شعره أبيض طويل ومموج يشبه شعر المحاربين في فيلم (تروي)، ذقنه بيضاء يتخللها بعض الشعر الفضي، لم تحلق منذ سنوات طويلة، نظر إليَّ في تمعنٍ ممزوج بالمفاجأة وقال:

- يونس؟ يونس ليل؟

تعجبت لمعرفته اسمي، سألته في دهشة:

- حضرتك تعرفني؟

قال الرجل في ارتياح وكأنه يترجى بعض الأمل من كلماتي:

- قالوا إنك هتيجي.. قالوا إن الحل معاك انت!

- مين اللي قالوا؟ انت مين أصلًا؟

عدل الرجل من هيئته ومد يده العجوز ليصافحني قائلًا في ود:

- آسف على طريقتي في استقبالك، زياد أورفللي[3]، عازف بيانو سابق في أوركسترا باريس..

- انت أول شخص أقابله في كوابيسي أكون ما اعرفوش!

ابتسم زياد وقال:

- مش يمكن عشان دي مش كوابيسك لوحدك؟

- يعني إيه؟!

- تعالى معايا وأنا هفهمك..

أمسك بيدي ومشينا سويًا حتى وصلنا إلى حافة الجبل، حيث يمكننا أن نرى عالم الكوابيس بأكمله من تلك النقطة، من الأعلى كان يشبه المدن في عالمنا، إلا أن المباني جميعها مصنوعة من اللون الأسود والأنوار جميعها مزيج من اللونين الأحمر والأخضر، تلك الكائنات العجيبة تطوف في سماء المدينة والكائنات الأخرى تمشي على أربع حول المباني بشكل عشوائي.

- من هنا تقدر تشوف المدينة كلها، أنا هنا من سنين على فكرة، عشر سنين وأنا جوا عالم الكوابيس بحاول أقضي على أرا..

- أرا؟ لعبة الموت؟ انت تعرف اللعبة دي منين؟

ضحك زياد من سؤالي ونظر إلى السماء وكأنه يرى شريط حياته يُعاد أمام عينه ثم قال في حزن:

- من سنين كتير لعبت لعبة الموت دي، وكان بسببها خسرت أغلى ناس عندي، خسرت البنت الوحيدة اللي حبيتها في حياتي، سلمى، وخسرت صحابي واحد ورا التاني، ولما جه الدور عليا عشان أموت مثلت إني ميت، فضلت غرقان في دمي ساعات، وقتها عرفت إنك تقدر تكدب على اللعبة، بس يوم ما اللعبة عرفت إني بكدب كانت النتيجة إني اترميت في عالم الكوابيس على أمل إن حد هيقدر يخرجني من هنا، كل السنين دي وأنا في انتظار يونس! من سنين كان ليا صاحب اسمه أيوب، أفتكر

إنه قتلني وإننا اتحررنا من لعنة اللعبة، ماكانش يعرف إن اللعبة زي ما عيشتنا في رعب سنين، قدرت بطريقتها تدخلنا جوا عالم الكوابيس.

بدا هذا العجوز وكأنه محمل بالحكايات والأسرار، افترشنا رمل الصحراء، أخرج من حقيبته بعض الماء النظيف شاركه معي وبدأ في سرد القصة، حكى زياد أن قصة اللعبة التي تدعى (أرا) بحسب رواية الكتب القديمة صنعت عام ٣٤٠ قبل الميلاد، على يد ساحر يُدعى أبا اللهيم، وهو أحد مؤسسي السحر الأسود في التاريخ، حكى أن أبا اللهيم كان يمتلك قوة جبارة، حتى أعتى الكهنة والسحرة في عصره لم يمتلكوا القوة لمواجهته أو حتى إضعافه، كان الملوك قديمًا يستعينون بسحره في الحروب، كانوا يخشونه ويخشوا قوته، حكى زياد بأنه قرأ كثيرًا عن قصة أبي اللهيم وعلم أنه كان لا يعرف سوى الشر والكراهية وأنه قبل وفاته وضع كل ما تعلم من سحر في صندوقين أسماهما (أرا)، الأولى لعبة ورقية وهي اللعبة التي لعبها زياد مع أصدقائه منذ سنوات، وكانت نتيجتها موتهم جميعًا، أما الصندوق الثاني فكان بداخله قوة جبارة وكيان غير معلوم، قوة بإمكانها أن تفتح باب عالم الكوابيس، العالم الذي أغلق بوابته كهنة معبد التنبؤات في سيوه منذ آلاف السنوات لكونه بداية خراب العالم، إلا أن بعثورهم على اللعبة فُتحت البوابة مرة أخرى على يد نجيب أسود.

- الأساطير والكتب كانوا دايمًا بيحكوا عن اللعبتين دول، قالوا إن واحدة منهم هتكون سبب دمار البشرية والتانية هتدمر العالم كله.



عقلي الذي بُني على الدراسة والتحليل العلمي يسمع ولكن لا يستوعب تمامًا كيف يمكن للعبة أن تفعل كل ما يقوله زياد.

- اعذر جهلي يا أستاذ زياد، بس أنا عمري ما كنت بصدق في السحر، أنا طول حياتي بمشي على حقائق علمية ودراسات، عمري ما كنت بصدق في عوالم الماورائيات والسحر الأسود، بس في أوقات كتير بنحتاج إننا نصدق عشان نفهم..

- أنا كنت زيك، لما لعبت اللعبة دي أول مرة شوفت صاحب عمري بيموت قدامي قولت إن أكيد مات موتة طبيعية، وإن أكيد فيه سبب منطقي لموته، بعدها هاجرت لفرنسا وعشت هناك ٣٠ سنة، ٣٠ سنة بشتغل وباكل وبنام وأنا عامل نفسي مش فاكر اللعبة، بس لما كبرت ولعبتها تاني عرفت إني كنت غلطان عشان ما صدقتش من البداية، فضلت سنين بشتغل عازف بيانو ولقيت إن كل مقطوعة ألفتها كانت بتتكلم عن الموت من غير ما أحس، يوم ما أيوب ضرب عليا النار عشان يكسب اللعبة افتكر إني مُت واللعبة كان افتكرت كده، وبعد ما عاش سنين بيدور على السعادة والراحة ومالقاش منهم شيء عرف إنه ملعون، وقتها بعد ما كان بيدور على الحياة قرر إنه ينهي حياته بإيديه، ويدفن اللعبة في معدته ويغرق نفسه بيها في البحر، ما كانش يعرف إن أتباع أبي اللهيم كانوا مراقبينه في كل لحظة وما كانوش هيسمحوا إن أي حاجة تحصل للعبتهم وورثهم.

أشعر بمأساته حتى وإن كنت لا أفهم قصته تمامًا، لا أعلم تمامًا إن كان يجب عليَّ أن أصدقه أم لا، إلا أنني شعرت نحوه بشيء من الراحة التي افتقدتها منذ دخولي هذا المكان الملعون، كان

يجب عليَّ أن أستمع للنصيحة الأهم في التاريخ: لا تنظر خلف الأبواب المغلقة ولا تسترق النظر حتى.

أرى تشابهًا عجيبًا بين ثلاثتنا، أنا وزياد وطه، ثلاثتنا فقدنا أشخاصًا غالين على قلوبنا، ثلاثتنا عشنا في أسى بسبب الحب، ثلاثتنا عشنا تائهين ضائعين في عالم لا ننتمي إليه، وثلاثتنا وجدنا ضالتنا في عزلتنا.

- بالمناسبة، فريقك عندي في البيت، كانوا بيدوروا عليك، تعالى نروح انت أكيد محتاج ترتاح.

- بيت؟ هو فيه هنا بيوت؟

- هو انت فاكر عشان إحنا في عالم موازي يبقى مفيش بيوت وبنعيش فوق السحاب ولا إيه؟ هنا قوانين الطبيعة مختلفة شوية، الجوع والعطش أقل، الشعور بالتعب أقل، لأنك ملعون بما يكفي في المكان ده.. يلا بينا!

وصلنا أمام باب يشبه الكهف بعض الشيء، دلفت خلفه لأجده بالفعل مثل البيوت المعتادة باستثناء أن العفش كله مصنوع من خشب أسود يشبه الفحم في ملمسه، كان الفريق بأكمله بالداخل وكم شعرت بالارتياح لرؤيتهم، كان يسري منهمكًا في كتابة شيء ما في دفتر صغير بين يديه إلا أنه تركه وابتسم في صدق فور أن لمح وجودي، دولت وشوكت نائمان فوق أريكة خشبية صغيرة يصدران شخيرًا مضحكًا متقطعًا، أما طيف فكانت تجلس في صمت تنظر إلى السقف في هدوء، وفور أن رأتني ابتسمت قائلة في دلال:



- كويس إنك عايش، ماكنتش حابة أكمل حياتي في المكان ده بصراحة، ما طلعش مبهر زي ما تخيلت!

ابتسمت لها في ود ثم نظرت إلى يسري وسألته عما يكتب فقال في خجل:

- العلاج بتاعي أساسه الكتابة زي ما حضرتك عارف، الدكاترة بتوعي نصحوني إني لازم طول الوقت أكون بكتب، وأنا من أيام الجُحر وأنا بشتغل على أول رواية ليا..

- أوعدك لو خرجنا من هنا هساعدك تنشرها.

- بجد؟ تقدر تعمل كده؟

ربتُّ على كتفه وقلت بابتسامة صادقة:

- نخرج من هنا بس واعتبره وعد مني..

جلست مع فريقي نتبادل أطراف الحديث، دخل زياد إلى مطبخه والذي تعجبت لكونه يمتلك مطبخًا في هذا المكان، ليختفي دقائق ثم عاد بوعاء ضخم يخرج منه الدخان بداخله طعام يشبه كثيرًا في رائحته الدجاج، وقال في سعادة مناديًا على الجميع:

- يلا كله ييجي هنا بسرعة انتم ضيوف الكوابيس ولازم تجربوا أكلها.

كان الطعام شهيًا باستثناء أن الكائن الذي نأكله في الوعاء الساخن كان لديه أكثر من مئة عين تناثرت بأكملها في أطباقنا، إلا أن الجوع جعلني أتغاضى عن هذا تمامًا وألتهم تلك الأعين في



رضا.

- هو إيه اللي في الطبق ده يا زياد؟

سألته وأنا أتناول الطعام على مضض.

- ده اسمه كابا، أو شيطان البحر، كائن صعب جدًا صيده بس أفضل الكائنات في الطعم جوا العالم اللي إحنا فيه ده، معلش أنا لو عليا كنت قدمت لكم حاجة أفضل من كده..

- كل فترة في حياتي بقول إني مستحيل أشوف أكتر من اللي شوفته، آديني دلوقتي باكل شيطان البحر!

تناولنا الطعام باستمتاع رغم كل شيء لسعادتنا بأننا نمتلك سقفًا أعلى رؤوسنا البائسة، كان الجوع قد تملكنا جميعًا، لا أعلم كم لبثنا في الجحر حتى الآن، الساعات لا تعمل هنا والسماء تميل إلى الظلام طوال الوقت فلا شمس هنا ولا نور يرشدنا، ولكنني انتهزت فرصة جلوسي معهم جميعًا في لحظة تميل إلى السعادة لأبدأ في معرفتهم بشكل أكبر، فقلت وأنا أبتسم:

- دولت وشوكت، احكوا لي شوية عنكم!

شعرا بالإحراج من تسليطي التركيز عليهما، ابتسما في خجل هما الاثنان وشرع شوكت في الحكي بصوته العجيب الذي يشبه إلى حد كبير نقيق الضفدع:

- أكيد يا دكتور حضرتك تقصد إيه سبب مرضنا وإيه سبب إننا اتصابنا بالذهان المشترك رغم نُدرته، أنا ودولت عيشنا حياة صعبة في طفولتنا، إحنا وعينا على الدنيا لقينا نفسنا عايشين



في ملجأ في بلد صغيرة، ملجأ متواضع، أكله متواضع، مرافقه متواضعة وحتى الحب اللي فيه كان متواضع، كنا بنتعرض للتنمر طول الوقت بسبب شكلنا، حضرتك ممكن تتخيل ولد وبنت توأم شكلهم بالنسبة لناس كتير مش جميل، بيسمونا في الملجأ (ضفادع)، يمكن عشان صوتنا يشبه الضفادع ويمكن عشان وشنا يشبههم، طول الوقت كنا بنسمع كلام وحش، طول الوقت بنتعرض للإهانة ومطلوب مني إني أحمي أختي من العالم ده، لحد ما في يوم وإحنا عندنا ١٤ سنة صحيت من النوم عندي حالة من الهياج والغضب، شوفت العيال اللي معايا في الملجأ على إنهم وحوش مخيفة، لقيت نفسي من غير ما أحس بقوم من سريري وبشوكة صغيرة بضرب كل اللي في العنبر بكل وحشية وغضب من غير ما أحس، الغريبة مش اللي عملته، الغريبة إني لما خدوني عند مدير الملجأ لقيت دولت هناك، وعرفت إنها عملت نفس اللي عملته بالظبط وفي نفس التوقيت كمان!

- حبكم لبعض وخوفكم على بعض في الأغلب هو سبب المتلازمة دي، متلازمة Folie a deux بيكون في أوقات كتير سببها الحب، شوكت ممكن يكون هو الطرف الفعال في المرض ده ودولت من غير أي تركيز اتحولت لطرف موهوم لإحساسها بإنها لازم تحميك وتساندك.

- طيب دي حاجة كويسة ولا وحشة يا دكتور يونس؟

- التعلق المرضي، أسوأ أنواع الجنون هو الجنون المتواري وراء أقنعة الجمال يا شوكت.



أشفقت عليه، أسوأ الأمراض النفسية التي تأتي نابعة من الخوف والألم، هذا المسكين لم يتمنَّ سوى أن يحمي أخته، عائلته الوحيدة في هذا العالم، من بشر وحشيين، لم ولن يعرفوا معنى الحب أبدًا، ابتسمت له في ود وأنا أُربت على يده، ثم نظرت إلى يسري المتوتر دائمًا وسألته:

- وانت يا يسري؟ احكي لنا حكايتك أيها الكاتب العظيم..

يقبع في مقعده كطفلٍ صغير لم يقُم بواجبه المدرسي ويحاول بكل طاقته أن يبقى مختبئًا من العالم حتى لا يراه أحد، يدعو الله ألا يراه أستاذه، خرجت منه ضحكة صافية، ثم نظر يسري حوله في خجل وقال بصوت خفيض:

- أنا مُشكلتي إني بخاف، ومتلازمة مونخهاوزن نابعة من خوفي اللي مش بيقل مع الوقت، خوفي من إني ألاقي نفسي بين يوم وليلة لوحدي، خوفي من إني أصحى ألاقي العالم بقى فاضي عليا مافيهوش حد، بدأت أختلق أعراض في البداية عشان أحس باهتمام اللي حواليا، كنت بفرح لما أشوف نظرة حبهم ليا وقلقهم عليا، وبدأت أدمن إيذاء نفسي في أوقات وأوقات تانية بعيش في حالة مرضية غير حقيقية عشان طول الوقت أبقى متحاوط بحب الناس، بس زي حكاية الولد اللي عمل نفسه بيغرق وفضل كل شوية ينده على الناس عشان يلحقوه، وأول ما يقربوا منهم يقولهم عليكم واحد، لحد ما عرفوا إنه كداب و...

- وفي الوقت اللي كان بيغرق فيه بجد ماحدش صدقه فغرق!

- هو ده اللي حصل معايا يا دكتور، كدبتي ريحتها فاحت



والكل عرف إن يسري صاحبهم كداب وبيعمل كده عشان يكسب تعاطفهم مش أكتر، عشان كده أنا دايمًا بكتب، بكتب عن مشاعري، عن ندمي، وعن اللي بعيشه دلوقتي يمكن في يوم يعرفوا إني اتغيرت وشوفت أهوال بجد ويسامحوني.

- هيسامحوك.. التمارض مؤذي ليك قبل ما يكون مؤذي للناس اللي حواليك، وأنا لسه عند وعدي ليك.

ثم نظرت إلى طيف التي كانت تستمع إلينا بدون أي انفعال جلي على وجهها وسألتها نفس السؤال، إلا أنها ابتسمت في هدوء وقالت:

- معلش اعفيني من الحكي.. مش شاطرة أوي في الموضوع ده!

احترمت رغبتها ولم أرد أن أضغط عليها، أكلنا طعامنا في اغتباط، كانت أمسية دافئة رغم برودتها، جليد يذاب وقلوب تحكي وأمل يتجدد في الحياة، خرج بعدها يسري ليكمل ما يكتبه في الهواء الطلق، بينما خلد الباقون إلى النوم وذهبت بعدها أنا وزياد لنجلس سويًا خارج منزله أمام غابة فضية أشجارها ليكمل زياد قصته.

- بعد موت صديقي أيوب فضلت كتير أراقب جماعة (أرا) بعد ما أقنعت الجميع إني ميت، سنين من البحث عنهم لحد ما عرفت إنهم بيتجمعوا في قصر مهجور من قصور القاهرة القديمة اللي ماحدش بيقرب منها عشان يمارسوا طقوس اسمها طقوس الموت، بيقعدوا في دواير وبيعملوا حركات بأجسامهم وبيقولوا كلام زي



تعاويذ، وفي اليوم اللي دخلت فيه عالم الكوابيس دخلت القصر معاهم ولبست لبسهم، حتى وشي غطيته بقناع من الأقنعة اللي كانوا بيلبسوها أثناء أداء الطقوس، وقعدت في دايرة أعمل زي ما بيعملوا لحد ما شخص اسمه دياب قرب مني..

- ازاي قدر يعرف إنك مش منهم؟

ضحك زياد وقال في أسى:

- حظي كان حقيقي سيئ، اكتشفت إنهم كلهم على إيديهم وشم لوش الأرنب من الدم، قدر يكشفني وخلاني بعد تعذيب كتير أحكي له كل حاجة وكان الحكم إني أتنفي للعالم ده، عالم الكوابيس كعقاب ليا إني خدعت لعبة الموت.

بدأ زياد في سرد ما حدث له هذا اليوم، كان جالسًا يقلد الباقين فيما يقولون، فقط يحرك فمه وجسده دون فهم، يعدل من غطاء رأسه حتى لا تظهر ملامحه حتى شعر بيد تمتد لتمسك به من تلابيبه ليقول الممسك به في غضب:

- انت إيه اللي دخلك هنا!

- أنا.. أنا معاكم!

أمسك الرجل الذي يدعى دياب بذراع زياد وقال بصوت مهيب رج أركان القصر بعدما سكت الجميع ليشاهدوا ما يحدث:

- انت مش موشوم بعلامة أرا، اكشف وشك!

خلع زياد غطاء وجهه في خوف فجحظت أعين دياب في ذعر



وهو يتأمل وجه زياد وقال في عدم فهم:

- زياد؟ زياد أورفللي؟ انت ازاي عايش؟ مستحيل!

- عارف اسمي الثنائي كمان؟ واضح إنك كنت مراقب كل اللي بيلعبوا لعبتكم!

- مستحيل! أنا شوفتكم كلكم ميتين قدام عيني!

ابتسم زياد رغم ضعف موقفه وقال متحديًا دياب:

- شوية مهارات في التمثيل، والطلقة ما صابتش أي منطقة حيوية في جسمي..

قام دياب بكل ما أوتي من قوة بسحب زياد من مكانه ليأخذه حيث يجلس زعيمهم والذي ينادونه بـ (مولانا) ليلقيه أمامه ويقول:

- مولانا، جزاء اللي يخدعنا لازم يكون الموت!

ظل مولانا صامتًا للحظات ثم قام من مكانه وهو يشير بعصاه لزياد وقال:

- اللي يخدعنا جزاؤه أسوأ من الموت، إحنا هننفيك لمكان هتتمنى فيه الموت يا زياد.

سكت للحظات ثم سألته:

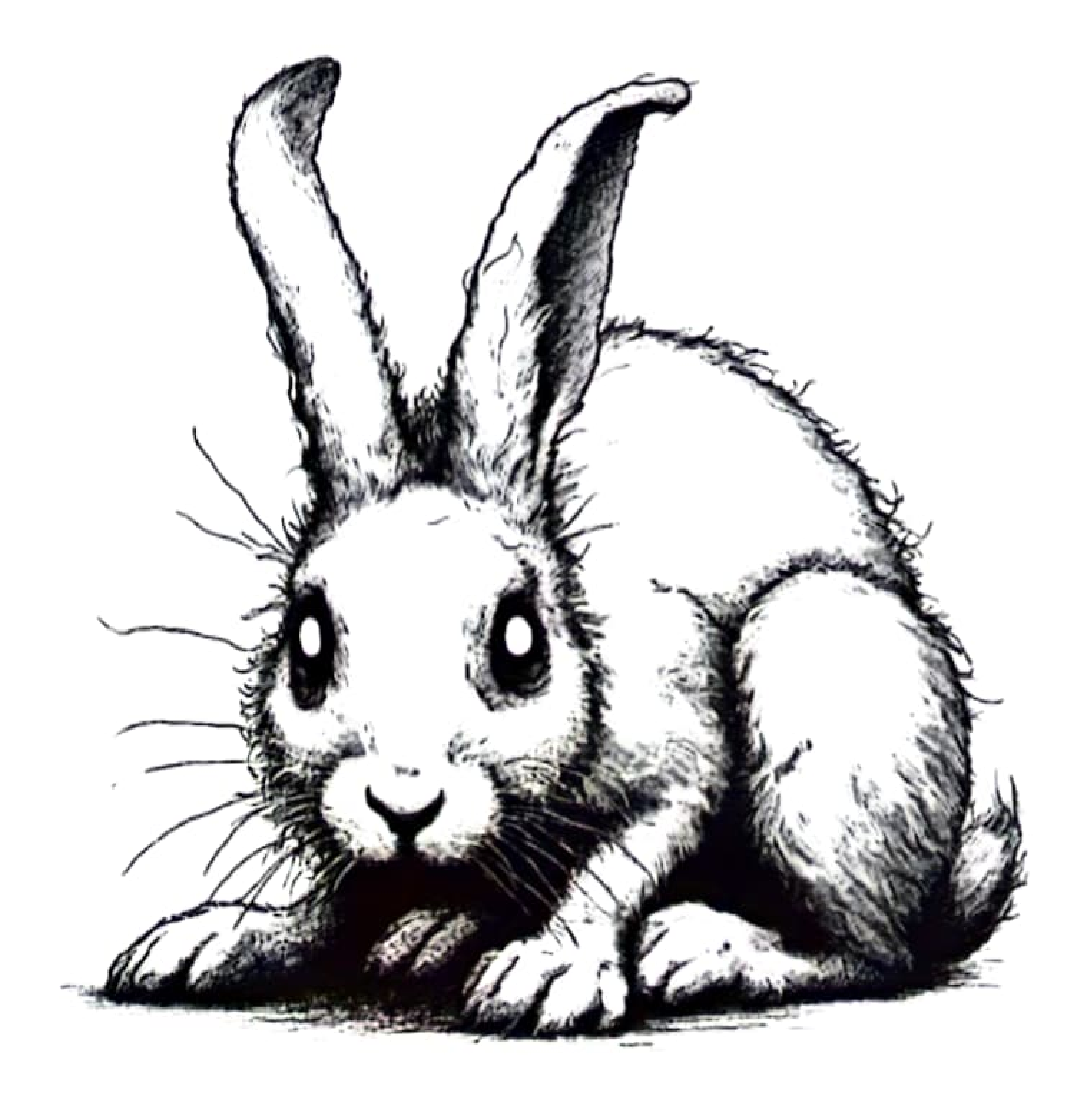
- ومين حكى لك عني؟

- مراتك.. عصفورة.



الفصل الخامس عشر

العصفورة والأرنب





على شاطئ أسوان الذهبي بدأ حبي لها، وعلى شاطئه انتهى هذا الحب بلا رجعة. تلك الاستثنائية السمراء التي سحرتني، عصفورة صغيرة حلقت بي في السماء لأبعد نقطة في الفضاء، ثم ألقتني بكل قسوة ولا مبالاة كأنني لم أكن في يوم من الأيام كل شيء لها، ألقتني حتى تحطم ما تبقى مني من قطع، مهشم، ممزق وضعيف في هذا العالم، وكأنها أعادت تمثيل مشهد خيانة حنين لي، ولكن بشكل آخر، تذكرت في تلك اللحظة المرة الأولى التي قابلتها فيها، يومها قالت بأسى وهي تحكي لي قصتها:

- الخيانة وجع.. بس زيها زي القدر.

- مين علمك ضرب الودع يا عصفورة؟

- زمان أمي أخدتني فوق الجبل، هناك علموني ضرب الودع.

- هما مين دول يا عصفورة؟

- مش كل الحاجات لازم نتقال ونتعرف يا باشا!

كان هذا من ضمن حوارنا في اللقاء الأول، كم كانت محقة، بالفعل لا يجب أن نعرف كل شيء، بعض الأشياء من الأفضل أن تبقى مطموسة في أدراج النسيان حتى النهاية، كم كنت أتمنى أن تبقى أسرارها بعيدة عن معرفتي، كم كنت أتمنى ألا أعرف أن تلك العائلة التي ظننتها بسيطة عادية في يومٍ ما، كشرت عن أنيابها لأرى عائلة تحاوطها الشرور والسحر الأسود من كل جانب.

"مش كل اللي بيلمع دهب"، تلك هي الجملة الأهم التي تعلمتها



من الجدة ونجي الحكيمة، ولكنني كنت أرى لمعان عصفورة وكنت أراها ذهبًا أيضًا.

- عصفورة؟

- عالم الكوابيس مرتبط بشكل وثيق بحكاية اللي فتحوا البؤرة، اللي ورثوها واللي دخلوها عنوة، عالم الكوابيس بيتشكل بناءً على السيناريو الخاص بحياة ساكنيه، يعني كل اللي بيدخل هنا كوابيسه بيكونوا هما سكان العالم ده، مخاوفه ووحوشه بيكونوا منقوشين بتفاصيله وأسوأ مخاوفه، عشان كده ما تستغربش لو قابلت أي حد من حكايتك هنا، زي ما أنا برضو بقابل شخصيات حكايتي هنا.

جلست معه لساعات يروي لي قصته، عشقه للموسيقى التي ورثها عن والده، حياته بفرنسا، وحب حياته الوحيد سلمى، بعدها استأذنت من زياد أن يتركني وحدي قليلًا، الهواء في هذا المكان ثقيل مُر، فوق كهفه وقفت أنظر إلى السماء الحمراء أشاهد أسرابًا من كائنات سوداء مجنحة تجتاح السحب السوداء تنعق مثل الغربان، أفكر في كل شيء، أفكر في أي طريقة تخرجني من هذا المكان، أم هو من الأفضل أن أبقى هنا؟ ربما عالم الكوابيس هو العالم الأصلح لقلب لم يتذوق من الحياة سوى مُرها.

شعرت بيدٍ حانية مرتجفة توضع فوق كتفي، ابتسمت لي عصفورة في خجل، ترتدي جلبابًا أبيض شاحبًا مثل لونها وقالت:

- هييجي يوم وتسامحني يا يونس؟



مشاعر مختلطة ما بين الحنين والغضب، شفقة وكراهية، عصفورة هي الشخص الوحيد في حياتي الذي له بداخلي مزيج غير مفهوم من المشاعر المختلطة، نظرت لها في عينيها قائلًا:

- أحمد طالع شبهك، كأنه نسخة منك..

- كان نفسي أشوفه، كان نفسي أنا اللي أربيه مش واحدة غيري.

- انتِ اللي عملتِ كده يا عصفورة، انتِ اللي ضيعتِ اللي بينا.

أخرجت من جيب جلبابها بلورة زجاجية صغيرة قربتها من وجهي، بداخلها صورة متحركة لسعيدة ومحروس يفترشان الأرض في منزلهما بأسوان أمامهما نار مشتعلة بينما يلقون بعض التعاويذ بصوت خفيض.

شرعت عصفورة في البكاء، وكلما زادت دموعها كلما بدأت هيئتها في التحول تدريجيًا لكائن النيدلان البغيض، تحولت في لحظات لكائن عملاق يسيل من فمه الدماء المتجلطة، وقالت بصوت مخيف حرك الأشجار من مخدعها:

- هما السبب يا يونس، والله أنا حبيتك وماكنتش عايزة أعمل أي حاجة تضرك، لو كنت مكاني كنت هتعمل إيه؟

- لو اتحطيت في اختيار بين إني أموت وبين إني أخونك كنت هختار الموت عن إني أوجعك بأي شكل من الأشكال، تقدري تقولي لي كسبتِ إيه؟ عارفة إيه المشكلة يا عصفورة؟ إني حكيت لك حكايتي كلها وحكيت لك اللي حصل مع حنين، وانتِ بكل



بساطة كررتِ نفس القصة معايا من تاني، ورغم اللي شوفته بسببك ما كرهتيكيش!

- آخر حاجة كنت أتمناها إني أكون جزء من كوابيسك، يمكن الحسنة الوحيدة في ده إني قادرة أشوفك دلوقتي وأتكلم معاك، ممكن تسمعني؟ دي المرة الأخيرة اللي هتشوفني فيها وأستاهل إنك تسمعني.

- احكي يا عصفورة..

هدأت عصفورة لتعود مرة أخرى لصورتها التي أحبتها، جلست إلى جواري وشرعت في الحكي...





أسوان - ٢٠١٨

دلفت الحاجة سعيدة والدة عصفورة إلى غرفة ابنتها، أشعلت السبرتاية لتعد لهم بعض الشاي بالقرنفل كتهيئة منها للأجواء قبل أن تشرع في إملاء طلبها على ابنتها البائسة.

- شوفي يا بنت بطني، من يوم ما أبوكِ مات وأنا معيشاكِ معززة مكرمة كيف الملوك، لا قولتلك انزلي اشتغلي ولا سيبي بيتك واسعي ورا أكل عيشك.

نظرت لها عصفورة في تعجب وقالت في استسلام:

- خير يا أما؟ لازمته إيه الكلام ده الساعة دي؟

أجابتها سعيدة بشيء من الاستجداء:

- عشان أنا جاية أطلب منك حاجة بس سايق عليكِ النبي ما تعترضي ولا تقولي لا.

- قولي يا أمي.. أنا عمري ما رفضت لك طلب..

ناولت ابنتها كوب الشاي ببعض حبات القرنفل وقالت في هدوء:



- أنا عمري ما قولتلك تعالي اشتغلي معايا رغم إن الأسياد ياما قالوا عايزين عصفورة، بس أنا عارفاكِ طيبة زي جدتك ومالكيش في الكلام ده.

- مهما عملتِ انتِ أمي، ومهما كنت بقول شغل أمي مش على هوايا بسكت ومش بقول حاجة ياما وانتِ خابرة..

- هو ده العشم يا قلب أمك، لعبة صغيرة هنعملها والمقابل هتكسبي مستقبل مضمون وعيشة نضيفة ماتحلميش بيها والأهم هتنقذي أمك من السجن.

- وغوشتيني يا أمي، اطلبي أنا لا يمكن أرفض لك طلب..

أكملت عصفورة سرد القصة إلى نهايتها، الاتفاق الذي أبرمته مع أمها والطلب الذي لا هروب منه لكونه مرتبط بمصير سعيدة، مرورًا بمقابلتها الأولى مع يونس وإهدائها له الخاتم الفيروزي وحتى هروبه إليها وزواجهما وخطة عادل اللعينة، أشعر أنني أقف فوق جسر من الزجاج، أمامي الموت وخلفي الموت وإن بقيت واقفًا في مكاني سيتهشم الزجاج وأسقط إلى الهاوية، كل الطرق تؤدي إلى الموت وكل الطرق تؤدي إلى إجابات مفقودة لن أجدها مهما حاولت جاهدًا العثور عليها في كل مكان، والإجابة التي أبحث عنها في تلك اللحظة، هل عصفورة تستحق السماح؟ هل عصفورة بالفعل ضحية حبها لأمها أم أنها كان من الواجب عليها أن ترفض إيذائي مهما كان الثمن؟

أشفق عليها، أريد أن أحتضنها وأخبرها أنني أعلم كم الضعف الكامن في ضلوعها، أريد أن أهبها جزءًا من حياتي كي تعود



وترى ابنها وتحمله بين يديها لتشعر بشعور الأمومة ولو للحظات قليلة، أريد أن أخبرها أنني أحببتها بصدق، أريد أن أخبرها أنني يوم قررت الهروب من العالم بأسره لم أهرب سوى إليها، ولكن الآن أشعر أن كلماتي تعجز عن الخروج، أشعر أن كلماتي لن تكون سوى بعض الحروف الباهتة لا طعم لها ولا لون، هي الآن جزء من كوابيسي ولا أمل أن تعود ولا أمل أن تصبح في يوم من الأيام عصفورة التي أحببتها مرة أخرى.

الدموع تنهمر من عيني، مشاعر مختلطة لا يمكن وصفها ولا الإمساك بها كحيوان بري لا يتوقف عن الركض.

- انتِ وهبتيني أجمل ابن في الدنيا رغم كل شيء، ازاي أنسى حاجة زي دي؟

- يعني مسامحني؟

ابتسمت في حزن والدموع تملأ عيني وقلت:

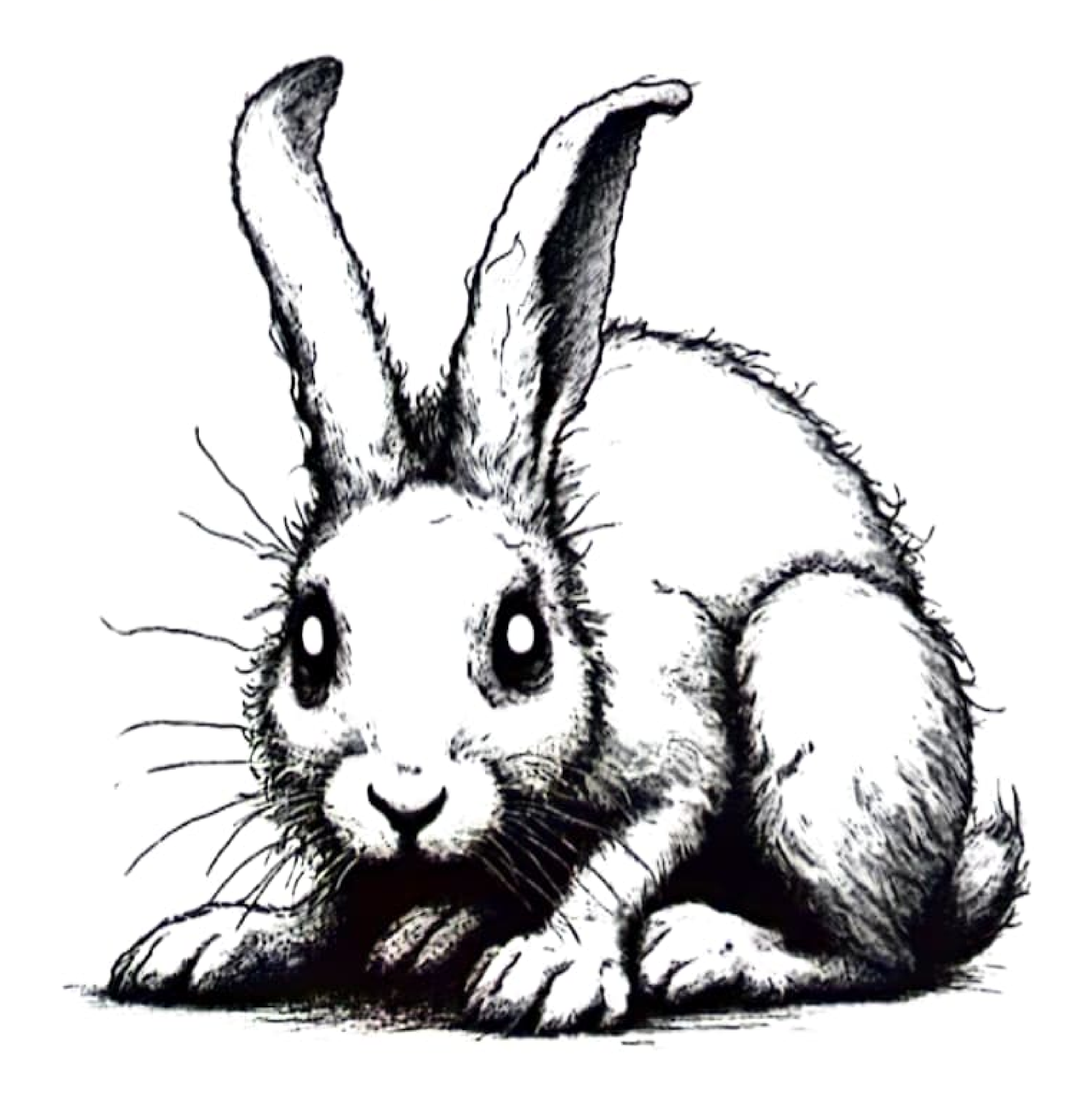
- كل اللي أقدر اقولهولك إنك على الأقل مش هتبقي جزء من كوابيسي بعد كده..

- وعشان أكون خلصت ضميري وأرتاح من عذاب الضمير، فيه حاجة أخيرة لازم أقولك عليها يا يونس...



الفصل السادس عشر

صخب داخلي





أخبرتني عصفورة بالشيء الوحيد الذي لم أره قادمًا، بالسر الأسوأ في قصتي كلها لترحل بعدها إلى عالمها الجديد وتتركني في بحر من الألم بداخل مركب لا يحمل بداخله سوى الظلام والأسى، وحدي أقف في الفضاء، لا أسمع أي شيء، أذني مُبطنة بعازل مانع للصوت يشبه مادة الأرض اللزجة، أسمع صرخات متناثرة ومخيفة تحدث فقط داخل رأسي، أصوات متداخلة وكأن حربًا قد نشبت داخل طيات عقلي، في بُعد الأفق أرى طريقًا ممهدًا طويلًا في نهايته قلعة ضخمة سوداء يحرسها تنين غاضب يحلق فوقها في حركة رتيبة لأجنحته، يقترب مني أرنب أبيض مألوف يرتدي نظارة طبية وملابس بشرية وهو يلهث بشدة، يخرج من جيبه ساعة جيب ضخمة وكأنه يريد أن يخبرني أن الوقت قد حان، يختفي الأرنب والأرض أيضًا تختفي من تحتي رويدًا رويدًا وأنا أسمع صوته من بعيد وهو يقول "اتأخرنا يا يونس! ميعاد المرواح قرب!"، السحب الحمراء في السماء تتحول إلى كائنات رخوية تلتف حولي في هدوء وبطء مربك ومخيف، تحاوطني، ولكنها لا تعتصرني، ما زلت حيًا، ما زلت أشعر بكل شيء.

تظهر أمامي مرآة ضخمة أرى بها انعكاس صورتي، الصورة تتغير ملامحها بين اللحظة والأخرى، أظهر في مرة طفل صغير يبكي بحرقة مصاب بكدمة في عينه اليمنى ومن ثم أتحول إلى شاب جامعي نحيل ينظر إلى انعكاسه في حزن، ثم أتحول إلى يونس الذي أعرفه الآن، أمسك في يدي قناع الأرنب، أقربه إلى وجهي لأرى كيف يبدو عليَّ فيلتصق بي ملتحمًا مع جلدي،



أحاول أن أنزعه فيمزق لحم وجهي فتتساقط دمائي كألوان زيتية للوحة لم يُكتب لها الرسم لفان جوخ، أنظر مرة أخرى للمرآة فتظهر أنغام في المرآة ترتدي فستانًا مرصعًا بالفيروز وتقول في استياء وهي تنظر لي:

"مش دي اللي عشقها خيالك وحكيت عنها للناس؟"

يتبخر انعكاسها لأرى بدلًا منها طفل صغير، طفل دميم أتذكره جيدًا، إنه زميلي في المدرسة الذي كان يتنمر عليَّ دائمًا، فكري الكريه، أراه يتبسم بشكل مقزز وهو يتناول ساندويتش تتساقط محتوياته على ملابسه فتتحول إلى حشرات صغيرة تلتهم جسده، يرمقني بنظرات الكراهية ويقول في زهو وهو يتآكل: "عمرك ما هتبقى صاحبنا يا يونس، عمرك ما هتلاقي حد يحبك".

تبخرت صورته لتتهشم المرآة لقطع صغيرة فأغوص في الفضاء ساقطًا في جُحر عميق كأليس التي لم يفهمها أحد متفاديًا الزجاج، لأجد نفسي في لحظات جالس فوق أريكة صفراء ضخمة مهترئة في الأغلب الأصفر ليس لونها الأساسي، في حانة قديمة خاوية تعود إلى زمن آخر، الطاولات نظيفة تصطف فوقها المقاعد في برود، برميل الجعة قابع في أحد الأركان تتساقط من صنبوره قطرات البيرة في تناغم موسيقي، أنظر إلى جانبي لأجده جالسًا بقميصه البالي وجسده النحيل يدخن غليونه في صمت مطبق، فان جوخ بشحمه ولحمه يشاركني نفس المجلس، نظر إليَّ بعد دقائق من حملقتي إليه، ليقول في هدوء:

- اتعلم أنك تشبهني كثيرًا؟ وكأن قصتي تُعاد مرة أخرى في زمن



آخر!

نظرت له في دهشة متسائلًا:

- إحنا فين؟!

- أنت في لاهاي، في عام ١٨٨٣، أي قبل وفاتي بسبعة أعوام!

أخرج من جيبه دفترًا صغيرًا بيده المرتعشة ثم أكمل كلامه قائلًا بنفس الهدوء الغريب:

- تلك القصة التي تعيشها الآن، هي نسخة أخرى من روايتي البائسة، لا تكرر أخطائي يا يونس!

- ماحدش فينا اختار قصته يا فينسنت..

- سأريك شيئًا...

ثم أمسك بيدي لننتقل فجأة إلى الزمن الحالي، تحديدًا داخل متحف فان جوخ في أمستردام، كان الوقت ليلًا بعد ساعات العمل الرسمية للمتحف ولم يكن هناك غيرنا في المتحف الضخم، شعور غريب يتملكني لرؤيته في لوحاته وأمامي في نفس الوقت، بدأ فينسنت بالدوران في مرح مثل الأطفال في أرجاء المتحف وهو يقول بصوت عالٍ بينما جسده النحيل يتراقص حول لوحاته:

- أنظر جيدًا.. هذا ما جنيته في قصتي، أوراق وألوان تحمل مأساتي يراها الناس من كل بلاد العالم مزارًا ممتلئًا بالنجاح والإبداع، الأطفال تمرح في أرجاء المتحف والبالغون يلتقطون



الصور الفوتوغرافية في لا مبالاة كأنهم في سيرك مليء بالمهرجين، يرون أحزاني وكوابيسي أشياء ملهمة لهم، يطبعون صوري وصور لوحاتي فوق ملابسهم ومقتنياتهم الشخصية وهم لا يدركون أن تلك اللوحات هي عصارة الأوجاع بداخل قلبي.. فينسنت الذي لم يتذوق من الحب إلا المرار ومن الحياة إلا الحنظل.

- بس الناس عرفت قيمة اللي قدمته، أكتر من ١٠٠ سنة على موتك والناس كلها بتشوفك من أهم الفنانين في العالم لحد النهاردا!

- أردت أن أُعرف حيًا يا يونس، أردت أن أجني ثمار تعبي بينما أنا على قيد الحياة، عشت حياتي بين أروقة المصحات ومقاعد الحانات، تحطم قلبي كثيرًا حتى أصبحت بلا قلب، حتى كلاسين تركتني، كلاسين التي رأيتها كما لم يرَها كل البشر، عاهرة رخيصة، تركتني بعدما أنجبت بأيام.

أخرج من يده عود ثقاب أشعله ليلقيه على جسده، بدأ في الاحتراق وهو يهلل في سعادة وقال بينما يتبخر داخل النيران كتنين في إحدى الأساطير:

- الحب ليس الحياة والموت ليس النهاية يا يونس، ابحث عن الحقيقة لمرة واحدة حتى تعيش في راحة إلى الأبد.

بدأ المتحف في الاختفاء، يتوارى في صمت لأنتقل إلى منزلي بالساحل الشمالي، أقف أمام البحر بينما منال وأحمد يلعبان سويًا، وياسمين تقرأ رواية في انسجام بينما البحر يداعب أقدامها، اقتربت من ياسمين وقبَّلت رأسها وأنا أقول لها في حب:



- المهم إن منال رعت بالسلامة، أوعدك إني هرجع..

الكذب يكسو ملامحي، أعلم أنني لن أعود إليهم، خرجت إلى الشاطئ أشاهد أطفالي وهم يلعبون في سعادة لتقترب مني امرأة جميلة يكسو الحزن وجهها قائلة في أسى:

- أنا رحيل يا يونس..

- رحيل؟!

قالت تلك الغريبة جملتها واختفت لأجد نفسي في غرفتي القديمة في منزل والدي، يجلس زيتون أمامي في صمت، على هيئة رجل عجوز وسيم يرتدي حلة فاخرة يعدل من شعره الفضي اللامع وهو يقول:

- مش كل اللي هتشوفه حقيقي ومش كل حقيقي هو الحقيقة يا يونس!

ليتحول إلى قطٍّ ويختفي بعد جملته، نظرت حولي لأجد نفسي بجانب منزل زياد مرة أخرى في عالم الكوابيس، وحدي في العراء يحاوطني الضباب من كل جانب، كررت لنفسي جملة فينسنت الأخيرة "ابحث عن الحقيقة لمرة واحدة حتى تعيش في راحة إلى الأبد"، ولكن ماذا لو كانت الحقيقة لا تُحتمل؟ ماذا لو كانت الحقيقة مؤلمة ومؤذية بشكل لا يُحتمل؟ ماذا لو كنت غير مؤهل لرؤية الحقيقة بصورتها الكاملة؟ ماذا لو كان كلام زيتون هو الأصدق وأن بالفعل الحقيقة التي أعيشها وأعلمها قد تكون غير حقيقية بالمرة؟ ولكن ما معنى ذلك؟



اقتربت مني طيف وسط كل هذا الصخب الداخلي وقالت بصوتها الهادئ الجميل:

- مش انت بس اللي بتدور على الخلاص يا يونس، قالوا لي إنك دكتور شاطر!

- مفيش دكتور شاطر مش بيعرف يحل مشاكلهن بس أحب جدًا إني أسمعك.

بدا على وجهها وكأنها تفكر في إن كانت تريد أن تحكي أم لا، ثم قالت:

- أنا بس مش بعرف أوي احكي قدام ناس كتير، عارف، أنا مش طول عمري الست اللي قدامك دي، مش طول عمري بشوف نفسي حلوة وأحلى من أي ست، طيف اللي قادرة تسحر أي راجل كانت مجرد طيف مش متشاف في الدنيا، بس زي ما الحب كان سبب في وجعك، الحب كان سبب قوتي يا يونس، أو وجع الحب عشان أكون دقيقة أكتر، أنا دخلت هنا عشان ارمي كل حاجة جوايا في المكان ده، زي ما قدرت في العالم اللي برا أبقى واحدة تانية، يمكن هنا المكان الأصلح اللي أرمي فيه ذكرياتي!

- الحب علمك إيه يا طيف؟

- علمني إني ما ابقاش عبيطة، زمان كنت مع شخص كان طول الوقت بيزرع جوايا إني مش كفاية، إني لازم أبقى دايمًا بحاول عشان أوصل لمكانته، ماكنتش أعرف إنه بيداري ضعفه وقلة



حيلته في كلامه ده، ولما قررت أبعد عرفت بجد أنا مين، وإن قد إيه أنا ماكنتش بشوف نفسي بالصورة اللي أستاهلها.

- كويس إن الحب قواكِ، أنا الحب ما عملش حاجة غير إنه فضل يكسر جزء مني كل يوم لحد ما بقيت الشخص اللي قدامك ده، أو اللي فاضل من الشخص ده على الأقل.

اقترب منا يسري في خجل وقال مبتسمًا:

- ممكن أقعد معاكم؟

- طبعا يا يسري، يلا أنا مستني روايتك عشان أكون أول واحد يقراها.

- شرف ليا يا دكتور والله، ماكنتش أتخيل إن المكان ده هيكون ملهم بالشكل ده!

- حقيقي نفخور بيك.

- وأنا والله ممتن جدًا لوجودك يا دكتور يونس..

قبل أن أُجيبه، سمعت صوت زمجرة مقلقة تأتي من خلفي، أشحت بنظري عنهم لألقي نظرة إلى مكان الصوت لأرى مرة أخرى هذا الوحش المخيف الذي يشبه وحيد القرن، أسنان حادة كأسنان القرش وعين حمراء لا ترانا إلا فريسة وعشاءً شهيًا، وكأن الخوف تجسد في صورة كائن بأربعة أقدام، خرج زياد وباقي الفريق على صوت هذا الكائن، زياد يقترب منه وهو يحمل سيفه وأنا ومن معي نشاهد المشهد لا نعرف تمامًا ما يجب علينا فعله، لمعان السيف كان مستفزًا للوحش الذي اقترب من زياد

بفمٍ مفتوح على مصراعيه، يصدر صوتًا يشبه قهقاع الدب، نظر إليَّ زياد وكأنه يودعني بابتسامته المعهودة، إلا أن الحظ كان حليفه لسببٍ ما، أيقظني من ثباتي صوت لثلاث رصاصات دوت في الهواء لتستقر في جسد الوحش الذي سقط ميتًا في الحال والدماء السوداء تسيل من جسده، ليزاح الستار عن منقذنا الذي نظر إلينا في سعادة وهو يعدل من قبعته في فخر.

- طه! جيت ازاي؟

- اعترف إني بظهر لك دايمًا في الوقت المناسب!

- بصراحة معاك حق، يا جماعة ده طه صديقي..

نظرت له طيف في إعجاب وقالت وهي تمد لها يده:

- لو خرجنا من هنا ممكن تعلمني أضرب نار؟

ابتسم لها طه في توتر وهو يهز رأسه بالموافقة، اقترب منه زياد وهو يربت على ظهره ملقيًا عليه عبارات الشكر والعرفان ليدعوه بعدها ليتناول بعض الطعام، ضحكت في خبث وأنا أخبره عن روعة الطعام الذي يعده زياد، إلا أنه قبل دخولنا منزل زياد توقف طه كأنه تذكر شيئًا ما وقال ضاحكًا:

- كنت هنسى! أنا جايب لك معايا ضيف على فكرة!

عاد طه عدة خطوات إلى الخلف ليغيب ثوانٍ ويعود وهو يدفع أمامه دكتور هارون المكبل من يده بحبلٍ غليظ وعلى وجهه ملامح الغضب والكراهية، نظرت إليه غير مصدق وقلت له مبتسمًا:



- حمد الله على السلامة يا دكتور! ابن حلال والله، كده الشمل اكتمل وندور على الجذر سوا.

- اللي بتعمله ده مش كويس عشانك يا يونس..

- نورت عالم الكوابيس يا دكتور هارون.

خلد الجميع إلى النوم بعدما وضعنا هارون في غرفة تشبه القفص كان زياد قد صممها ليضع بها الكائنات التي يمسك بها في عالم الكوابيس، الجميع دلف إلى فراشه إلا أنا وزياد وطه، أخذنا زياد إلى شاطئ طويل بحره بنفسجي اللون، تطير فوقه كائنات صغيرة تشبه الغربان شفافة اللون باستثناء منقارها العريض الأحمر الذي يساعدها على التقاط طعامها من الماء، أرى هذا العالم ساحرًا في تفاصيله رغم كل شيء، ممتلئ بالوحوش إلا انها وحوش حقيقية صادقة، لا تريد سوى بعض الطعام كأي كائن حي، الوحوش التي قابلتها في حياتي كانوا الأسوأ، وحوش ترتدي وجوهًا بشرية لتخدعك، فتجبرك على حبها بعدها تسلب منك حياتك بأكملها، وحوش مخادعة لا تعرف الحب، ولا تفكر إلا في كيفية اختراق روحك وتدميرك إلى فتات.

- حصل إيه بعد ما دخلنا بوابة عالم الكوابيس؟ احكي لي..

سألت طه في فضول وسعادة:

- فضلت أيام مستخبي وسط الناس اللي شغالين في الجُحر، شوية ألبس زي العمال، شوية ألبس زي الدكاترة، وفضلت طول الوقت أراقب هارون واللي سمعته امبارح بيتكلم في التليفون، بيكلم



واحد اسمه حاتم...





الجُحر - الليلة الماضية.

في مكتبه الضخم، جلس هارون يحتسي قهوته وهو يتحدث إلى حاتم الذي بدا صوته قلقًا، صوت شخص لم يتذوق النوم منذ فترة طويلة.

- خلاص يا حبيبي اتطمن بقولك، يونس دخل برجليه الجُحر، يعني انت في أمان يا حاتم.

أتى صوت حاتم خائفًا من الجانب الآخر للهاتف وهو يقول:

- يا بابا انت ماتعرفش يونس، ده عامل زي القطط بسبع أرواح، يعني كل اللي حكيتهولك عنه ده ولسه مش عايزني أكون قلقان؟

- لعب العيال بتاعكم قبل كده حاجة واللي هو فيه دلوقتي حاجة تانية خالص، لعبة الهلاوس ومراته اللي قتلها ومصحة نجيب أسود اللي دخلها وكل الكلام ده أنا بقولك إنه لعب عيال، يونس دلوقتي في مكان مش هيعرف يخرج منه إلا لو أنا عايزه يخرج منه.

اقتحم طه الغرفة عليه وهو يحمل بيده مسدسًا يشير به لوجه



هارون الذي القى هاتفه من يده في الحال، أمسكه طه من تلابيبه وهو يقول بصوت هادئ إلا أنه يحمل في طياته تهديدًا واضحًا:

- انت دلوقتي قدامك اختيارين ماهومش تالت، تقوم معايا حالًا نروح ليونس، يا مسدسي ده هيعمل في راسك خرم قد الجحر اللي إحنا فيه ده، تختار إيه؟



أكمل طه القصة، قال أن هارون لم يفكر للحظة، تمسكه بالحياة جعله يتحرك كالمنوم مغناطيسيًا ينفذ الأوامر بلا تفكير، مشيا سويًا حتى وصلا إلى غرفة ضخمة يتوسطها باب غريب لا يشبه الأبواب الذي نعرفها، بوابة الدخول لعالم الكوابيس، أخبره هارون أن دخولهم إلى هناك قد يعني نهايتهم، إلا ان نظرات طه كانت كفيلة ليستمع هارون إليه بلا نقاش أو جدال.

- والله ما عارف أقولك إيه يا طه!

قلتها وأنا أحتضنه في حب.

- يا عم إحنا اخوات!

- أنا بجد ممتن لوجودك، ولوجود زياد، انتم الاتنين انقذتوني من موت مؤكد.

ابتسم طه وقال في جدية:

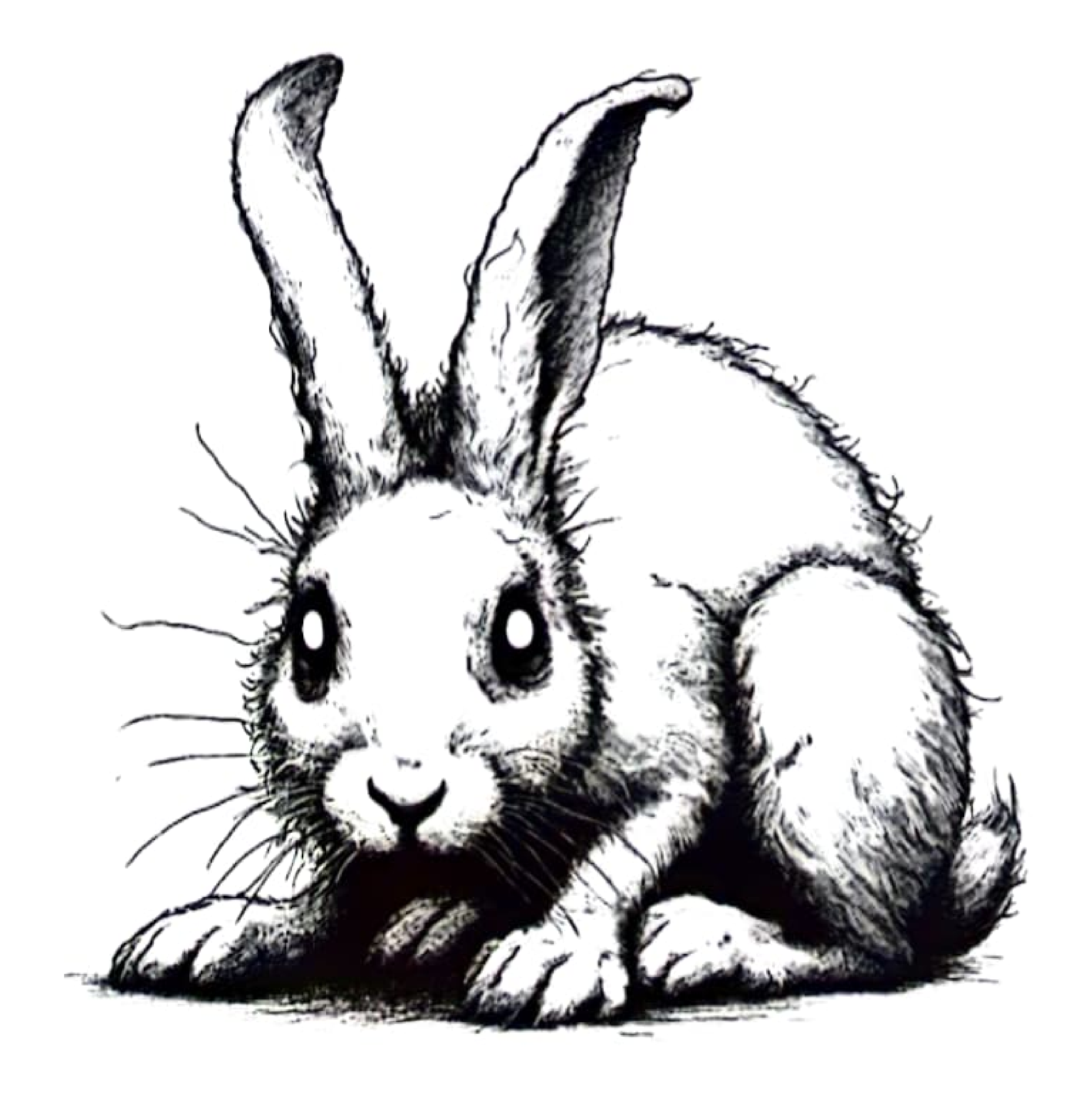
- اشكرني لما نخرج من هنا وترجع لمراتك وعيالك.

- أنا لازم أشكر سِحر وحبيب على إنقاذهم ليك.



الفصل السابع عشر

نصف الحقيقة





الحقيقة: الشيء الثابت يقينًا، هذا هو تعريف المعجم الجامع لكلمة (حقيقة)، أما تعريف نصف الحقيقة فهو حذف بعض الحقائق الضرورية بهدف التضليل والغش والخداع.

وفي قصتي المدهشة، فقد تم حذف الكثير من الحقائق الضرورية حتى أصبحت لا أفرق بين الواقع والهلاوس، بين الصدق والكذب، وبين الأحلام والكوابيس، وبين الحليف والعدو، وما روته عصفورة أو نيدلانها كان قادرًا على تدميري مرة أخرى.

- قولي يا عصفورة، أنا سامعك.. يمكن لو فهمت أقدر أسامح!

- أنا عارفة إني طول الوقت كنت بشوف كل حاجة ومش بتكلم من زمان، بس انت من حقك تعرف اللي أنا عرفاه، عايزة أرتاح من الحمل اللي شيلاه يا يونس، أنا عيشت سنين زي الشيطان الأخرس بسمع حكاوي آن الأوان إني أحكيها عشان تنزاح عن روحي..

بدأت عصفورة تحكي القصة بأكملها لتقلب موازين كل شيء في حياتي...





منزل أحمد ليل - ٢٠٠٠

دلفت يارا إلى غرفة والدها بعدما نده عليها، كان جالسًا فوق مقعد مكتبه في انتظارها، يبدو عليه التوتر الشديد، فور دخولها طلب منها أن تغلق الباب لتجلس إلى جانبه وتنصت إلى كلامه جيدًا.

- يارا، الكلام اللي هقوله ده لازم يفضل سر بينا، السر مش بيبقى سر لو خرج برا اتنين يا بنتي، أنا مش أب شرير عشان بحاول أحميكِ يا يارا، أنا بعمل اللي بعمله ده عشان تعيشي حياتك بعيد عن الشقاء وبعيد عن المشاكل، يارا، أنا عايزك تسمعيني كويس عشان حقيقي مفيش وقت نضيعه.

نظرت له يارا في استغراب وقالت:

- قلقتني يا بابا، فيه إيه يا حبيبي؟!

ربت أحمد على كتفها ثم أكمل كلامه قائلًا:

- أنا مش بقولك الكلام ده عشان اخوفك، أنا بقولك الكلام ده عشان انتِ كبيرة وهقدر اعتمد عليكِ، أنا نهايتي قربت، ولما أمشي مش هيكون فيه حد موجود عشان يحميكِ، عشان كده



أنا أخدت قرار صعب عليا بس مفيش حل غيره، إن اللعنة اللي اتحطت على العيلة دي هتبقى لعنة حد من أخواتك، انتِ بنت ومش هتستحملي..

نظرت له يارا بوجهٍ ملامحه تصرخ بأنها لا تفهم أي شيء مما يقوله والدها، فسألته باستنكار كمحاولة بائسة أن تستوعب ما يقوله:

- حد من أخواتي؟ يعني إيه يا بابا؟ أنا ماليش أخوات غير يونس!

- أنا عارف إن اللي هقوله ده بيوجع بس لازم تعرفيه يا حبيبتي، انتِ عندك أخ غير يونس، اسمه عادل، في نفس سنك تقريبًا، اسمعيني يا يارا، أنا عملت حاجات غلط كتير في حياتي، ظلمتك وظلمت أخواتك، بس أنا مش مستعد إني أمشي من هنا وتعيشي انتِ في تعاسة مالهاش نهاية من بعدي..

- بابا.. ممكن تقولي إن حضرتك بتهزر؟ حضرتك عايز تجنني؟

- كل كلمة بقولها دلوقتي مافيهاش أي هزار يا يارا، بس الحقيقة إنك ماتعرفيش أي حاجة عن أبوكِ، من سنين كتير كنت بتعالج عند دكتورة شابة اسمها رحمة، كنت بعاني من هلاوس مرعبة، بشوف حاجات غريبة وبسمع حاجات غريبة كانت بتخليني مش بعرف أنام بالأسابيع، الكلام ده كان في السبعينات، بدأت معاها رحلة العلاج، وفي نفس الفترة دي قربت منها ومن عيلتها واتعرفت على جوزها نجيب أسود، راجل مُختل، بس لما بقينا صحاب وحكيت له عن اللي بشوفه ومخليني



مش عارف أعيش ولا أنام قالي إنه ممكن يساعدني، وإنه بصدد اكتشاف شيء هيساعد أي مريض نفسي على إنه يعالج مرضه النفسي أيًا كان إيه من جذوره عن طريق الأحلام، وقال إن اللي معطله عن حلمه هو الفلوس، وقتها كنت عايش في يأس، عرضت عليه إني أشاركه من غير أي تفكير، والغريب إنه وافق على طول، وشبه سرعتي في القرار ده بسرعة الأرنب، قربت منه وقربت برضو من مراته، أنا ورحمة حبينا بعض وهي تبقى أم عادل أخوكِ.

دموع يارا تنهمر، تحاول أن تستوعب أي شيء مما يقال، تحاول أن توقظ نفسها من هذا الكابوس اللعين.

- بابا، هي رحمة اللي حضرتك بتتكلم عنها هي رحمة الدكتورة اللي بتعالج يونس أخويا؟

- هي، بعد ما اتفقنا أخدني نجيب في يوم لجزيرة غريبة في نص البحر، هناك كان مستنينا اتنين من أصدقاء نجيب، شخص اسمه عماد العلايلي وشخص تاني اسمه دكتور هارون.





جزيرة الجُحر - ١٩٧٨

دلف نجيب من المركب في زهوٍ وهو يعدل من ربطة عنقه يتبعه أحمد في صمت، ينظر حوله فلا يرى سوى الأشجار والرمال، جزيرة مهجورة أو لم تخطُها قدم من قبل على أقل تقدير، على رمال الشاطئ كان في انتظارهم رجلان، الأول رجل عريض البنية له شارب ضخم مهذب بعناية، والآخر كان أصلع الرأس ملامحه حادة عنيفة، صافحهم نجيب ومن ثمَّ أحمد ليفترشوا جميعهم الرمال غير مبالين باتساخ ملابسهم ليبدأ نجيب في الحديث.

- أعرفك بباقي الفريق يا أحمد، الأستاذ عماد العلايلي صاحب فندق القلب الشهير في إسكندرية وهو اللي هيقوم بكل شيء يخص البناء للمشروع، والدكتور هارون وهو اللي هيكون مسؤول عن كل شيء يخص الأطباء والتمريض في المشروع، وبصراحة سرعتكم كلكم في الاستجابة للمشروع حسستني فعلًا إني بشارك مجموعة من الأرانب، ذكاء وسرعة ورؤية حادة لأهمية اللي بنعمله هنا.

ضحك هارون وقال ممازحًا:



- ده على كده إحنا نسمي المؤسسة بتاعتنا الجُحر، ما إحنا أرانب بقى!

ليضحكوا جميعًا غير مدركين أن الدعابة التي ألقاها هارون ستتحقق لواقع بعد فترة قصيرة للغاية، وأن الجحر الذي قاموا بحفره ليكون ملاذهم سيكون مقبرتهم جميعًا.



ظلت يارا في مكانها تستمع إلى أبيها وهي ما زالت لا تفهم أي شيء، أكمل أحمد قصته قائلًا:

- كل واحد منهم كان عنده دافع عشان نبني الجُحر ده، نجيب كان عايز يحقق سبق علمي ويدخل التاريخ بأفكاره، هارون كان حلمه يدخل جوه عقل متهمين قضايا القتل ويدرس عقولهم، وعماد فكرة تطويع العقل البشري كانت بالنسبة له مبهرة، وشاف إن من وراها ممكن يحقق ثروات مالهاش آخر، سنين وأنا وسطهم، بشوف أبحاث غريبة بتتعمل، أغلبها بيتعمل على أرانب، منها اللي بيفشل ومنها اللي بيوصلنا لطريق مسود، بس نجيب بالذات كان عنده إيمان عجيب باللي بيعمله وشاف إنه هينجح، بقيت مش بسمع في ودني وأنا صاحي وفي نومي غير صوت ضغيب الأرانب وهي بتصرخ من الألم، لحد ما في يوم حصلت أغرب حاجة شوفتها بعيني، نجيب قدر يفتح باب بين العالم بتاعنا وعالم تاني، والغريب كمان إن العالم ده لسبب ما سمعه نجيب بيطلب اسم أخوكِ يونس، العالم اللي اكتشفه بيخليك تعيش مخاوفك، كل حاجة بتشوفيها في كوابيسك بتبقى حقيقة، واللي اتفقنا عليه إحنا الأربعة إن الابن الأكبر لكل واحد فينا هو اللي هيورث المكان ده بكل اللي فيه، وأنا مش مستعد أعمل ده فيكِ.

- فهتعمله في يونس يا بابا؟!

سكت أحمد للحظات وهو يمسح دمعة هربت من عينه وأكمل قائلًا:

- أنا بحب أخوكِ، بس انتِ يارا، أول فرحة وأغلى حاجة في حياتي، واسم يونس اتنده يا حبيبتي..

- يمكن مش ده اللي حصل! يمكن اللي اسمه نجيب ده فهم غلط! ليه البوابة هتنده اسم عيل صغير لسه في المدرسة؟

- أسئلة كتير جدًا ما عنديش إجابات ليها، كل اللي عايزه منك هو حفظ السر ده.

ثم ناولها صندوقًا صغيرًا وضعه بين يديها وقال قبل أن يقبل رأسها:

- العلبة دي فيها مذكراتي وأبحاثي وكل حاجة أعرفها وشوفتها في الجُحر، أنا بسلمك ده عشان لو حصلي حاجة تقدري تنقذي نفسك وتبعدي عن كل ده.. وفيه سر كمان هقولهولك بس في الوقت المناسب.

قبل أن تقول يارا أي شيء، دلفت منال إلى الغرفة، لم تنبس ببنت شفة، إلا أنها نظرت إليهما في صمت ثم قالت:

- مالكم قاعدين كده ليه؟ انتم كويسين؟

ضحكة صفراء خرجت من أحمد وهو يتنحنح قائلًا:

- هو الواحد مايعرفش يقعد مع بنته في البيت ده ولا إيه؟ واحد قاعد مع حبيبته يا ستي!

- ربنا يخليكم لبعض يا سيدي ماحدش قال حاجة، يلا عشان الغدا جاهز طيب..



خرجا الاثنان لتبقى منال وحدها في الغرفة، العرق يتصبب من جبينها كالأنهار، الذعر يتملكها والخوف والغضب يعتصران قلبها، لقد سمعت كل شيء، كانت تقف خلف باب الغرفة منذ بداية الحديث، فطرة الأمومة بداخلها تخبرها بأنني قد أكون في خطر وشيك، وأنها يجب أن تفعل شيئًا ما، ذهبت بعدها إلى غرفتي، كنت أقرأ رواية ما، اقتربت مني في حبٍ وقالت وهي تحتضني:

- يونس حبيبي، انت كويس؟

- آه يا ماما الحمد لله، فيه إيه؟

- مفيش يا حبيبي، كنت عايزة أتطمن عليك.

خرجت بعدها وأنا معها لنتناول الطعام مع أبي ويارا، كانت أمسية يخيم عليها الصمت، الجميع ينظر إلى طبقه هربًا من أعين الآخرين، الكل في حيرة ينتظر شيئًا ما، في المساء ذهبت أنا ويارا إلى النادي وذهب أبي إلى عمله لتبقى منال وحدها في المنزل، أمسكت بهاتفها بيدٍ مرتعشة لا تعلم هل ما ستقدم عليه سينجح أو لا، إلا أنها قامت بالاتصال بنجيب أسود بعد بحث طويل بين أوراق أبي عن رقم هاتفه.

- أستاذ نجيب، أنا منال ليل مرات أحمد ليل، محتاجة أقابل حضرتك حالًا ويا ريت من غير ما أي حد يعرف.

- أهلًا مدام منال! خير حصل حاجة؟

- لما أشوفك هفهم حضرتك كل حاجة، ويا ريت زي ما قولتلك ماحدش يعرف إننا هنتقابل!



في صباح اليوم التالي، استقلت منال سيارتها متجهة إلى الفيوم بعدما انتهت من مقابلتها مع نجيب أسود، لم يكن لقاءً طويلًا إلا أنه كان مؤلمًا بعض الشيء، زوجة الخائن وزوج الخائنة يعدان خطة محكمة للانتقام، إلا أنها من أعماق قلبها لم تكن تفعل ذلك لكي تنتقم، كل ما كانت تفكر فيه وقتها هو أمان يونس ولا شيء آخر، اتفقا على خطتهما سويًا، بحثت كثيرًا عن شخص يدعى النونو حتى عثرت على غايتها المنشودة أمام الشاطئ بمساعدة أحد الأطفال، جالس فوق كرسي خشبي يصطاد في هدوء وهو يدخن سيجارته، أخبره الطفل أنها تريد مقابلته فأعطاه بعض الجنيهات في يده ودعاها للجلوس على الكرسي المجاور له.

- أوامرك يا هانم، مركب، فسحة، فندق، النونو خدامك!

- اسمع اللي هقوله كويس يا نونو عشان مش هعيده، ركز في كلامي عشان مفيش مجال لأي غلط يتعمل، واللي هتطلبه هتاخده وبزيادة كمان.

- يا مدام وغوشتيني! هو حضرتك جاية في حوار ولا إيه؟

بعد مقابلتها للنونو بأسبوع كانت قد وضعت خطتها بعدما أخبرني أبي أنه سيأخذني في رحلة إلى الفيوم، أنا وهو فقط، في الأغلب كان يظن أنه يتأسف بطريقته، يعطيني شيئًا قبل أن يأخذ كل شيء، كان يعلم أنه يظلمني، كان يعلم أنه على وشك الزج بي في بحر من الكوابيس، إلا أن أمي كانت تعد خطتها الخاصة جدًا.

- الأسبوع اللي جاي أحمد جوزي هييجي يأجر من عندك مركب، كل اللي مطلوب منك تحطله هو والولد اللي معاه منوم في الأكل اللي هتقدمه ليهم على المركب، وسيب الباقي عليا.

- يا مدام اللي بتطلبيه ده ممكن يوديني في داهية! أنا سمعتي زي الجنيه الدهب!

- اسمعني يا نونو عشان أنا ماعنديش وقت أضيعه بإني أقنعك، يا تسمع كلامي يا هتتحبس باقي حياتك، القرار ليك.



اتضح أن فكرة سفري أنا وأبي إلى الفيوم هي فكرة أمي، كانت ترسم الخطة بدقة، ونقطة البداية هي الفيوم، المكان الأمثل لتقوم بالسيناريو كما تريده تمامًا.

- أحمد، أنا حجزت لك انت ويونس رحلة للفيوم، ابنك له حق عليك، فرصة تغيروا جو وتقربه منك شوية..

- بس انتِ عارفة أنا مشغول قد إيه الفترة دي يا منال! وبعدين يارا مش هتيجي معانا؟

قالت منال بشكل قاطع:

- مشغول عن ابنك؟ أحمد بعد إذنك ادخل قوله وفرحه، وأنا اليوم ده هاخد يارا ننزل نشتري شوية حاجات.



في هذا اليوم، كنت بدأت أشعر ببداية جديدة سعيدة لعلاقتي مع أبي، حنان لم أجده معه من قبل طوال حياتي، وعلاقة تمنيتها طويلًا إلا أن حتى تلك اللحظة المثالية اتضح لي بأنها من ترتيب أمي، لشيء ما وضعت هي وحدها حجر أساسه وخطته.

- مبسوط يا يونس؟

- أوي يا بابا! يا ريت نعملها كتير الرحلة دي..

كان هذا اليوم من أجمل أيام حياتي، حتى وإن كان شعوره نحوي مزيفًا أو بدافع من أمي، قمنا باصطياد الكثير من السمك، تناولنا الطعام الشهي الذي أعده الريس نونو قبل تحركنا بالقارب، سقطت في نومٍ عميق بعد الكثير من المرح، وآخر ما اتذكره هو استيقاظي بعد عدة ساعات لأجد المركب غارقة في الدماء ولا أثر لأبي، رجال شرطة والنونو، الكثير من الاتهامات والصراخ، لينتهي أبي من حياتي بعد تلك اللحظة، ليتركني في هذا العالم للعنة لم أتمنَها، قناع لن يحميني من أي شيء والكثير من الأسرار والحكايات.

بعد مرور أسبوعين على ما حدث كانت أمي تتحدث إلى نجيب أسود في الهاتف مرة أخرى، كان عزاء أبي قد انتهى منذ أيام، الحزن يخيم على أرجاء المنزل، يارا لا تكف عن البكاء، الجميع يتحاشاني، الجميع يتعامل معي كأني غير مرئي وهو الأمر الذي كان مريحًا بشكل كبير وقتها، كانت يارا تراقب أبي عن كثب منذ وقت الحادث، ترى أن أمي مثيرة للريبة لسببٍ ما، كنت أمكث في بيت جدتي في تلك الفترة، وقفت يارا خلف باب



غرفة أمي تستمع لمكالمتها مع نجيب.

- أنا حكيتلك موضوع رحمة وأحمد عشان تساعدني مش عشان تقتله!

- لما أعرف إن ابني الوحيد اللي اتمنيته طول حياتي مش ابني عايزاني أعمل إيه؟ لما ابني اللي كبرته وعرفت إني هموت وهو شايل اسمي يطلع ابن صاحبي! مفروض أبقى قادر أسامح؟

- الأب اللي بيربي مش اللي بيخلف يا نجيب، اوعدني إنك مش هتقتله! أنا عملت كل ده بس عشان أنقذ يونس من أحمد، غير كده مش فارق معايا حاجة.

- مش هيموت، بس والله لا أخليه يتمنى الموت كل يوم، سواء هو أو رحمة!

دلفت يارا إلى الغرفة تنظر إلى أمها في ذعر، ترتعد أوصالها وعينيها جامدة من الرعب تنطق الحروف بصعوبة كالمجذوب:

- ماما.. هو بابا.. عايش؟

نطقت جملتها في وهن إلا ان منال اجابتها بوجهٍ جامد:

- ابوكِ غلط، وكان لازم يدفع تمن غلطه ده..

- ماما قوليلي بابا فين!

- انسي إن ليكِ أب يا يارا..

كانت عصفورة تحكي وتُريني ومضات من تلك المشاهد وكأنها



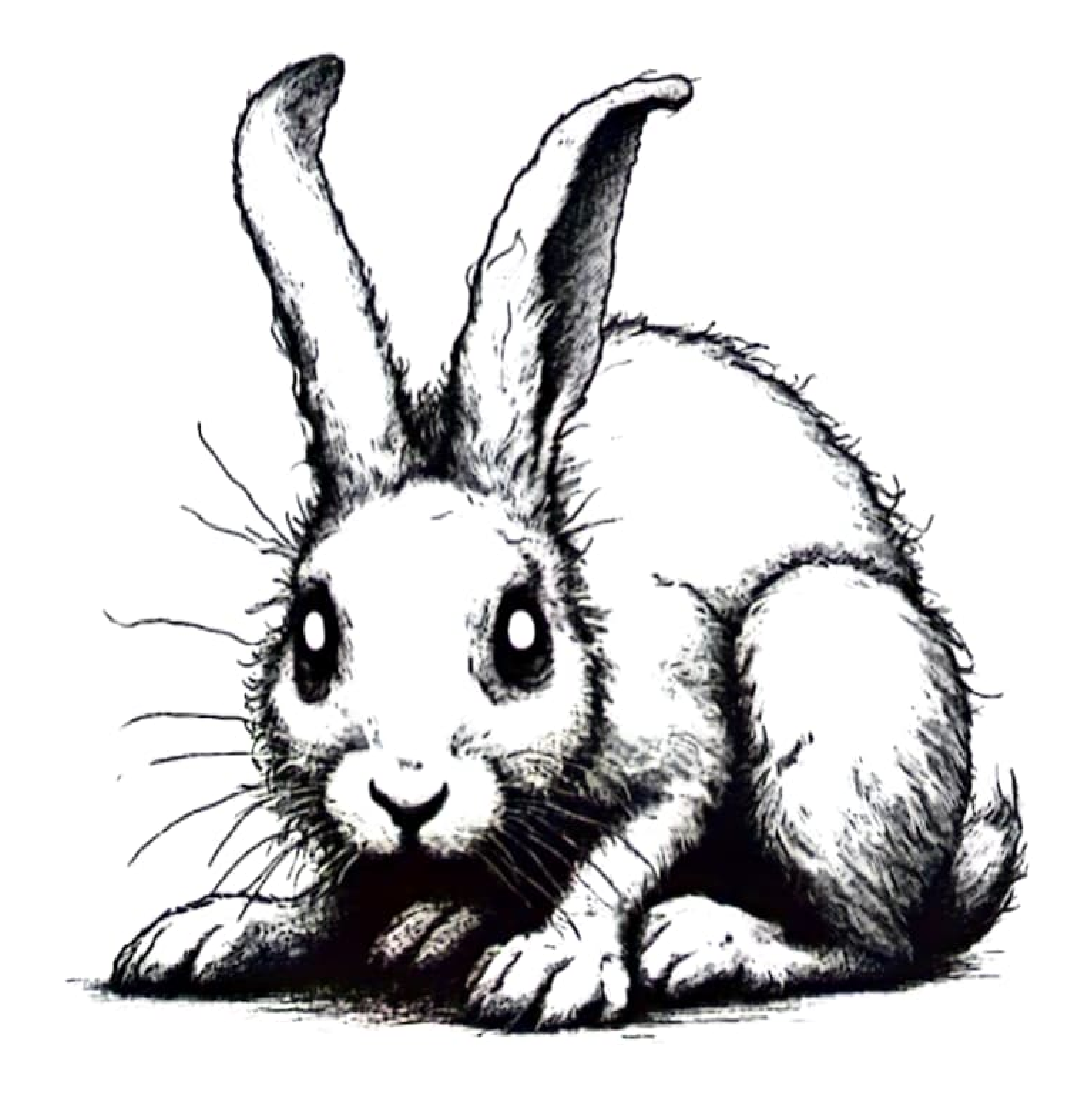
تحمل بين روحها الماضي في جعبتها، بداخلي مشاعر لم يكتشفها البشر بعد، خليط من كل شيء، خليط من اللا شيء، يارا كانت تعلم كل شيء منذ البداية، أمي هي من زجت بأبي داخل جدران مصحة الموت الأسود، أمي كانت تحميني، أتقنت الدور تمامًا، أقنعت الجميع بأنها لا تريد رؤيتي أو سماع صوتي بعد وفاته، كانت تتحاشاني، أم تتحاشى الحقيقة؟ أبي عاش لسنوات طويلة بداخل جدران غرفته في مصحة ملعونة تحت اسم سعد فقط لأن أمي شعرت بأنه مقبل على أمر قد يؤذيني، أم أنها كانت تنتقم منه لخيانته لها؟

يارا لم تخبرني ولو لمرة واحدة بأنها تعرف أي شيء، تركتني كالأعمى داخل قفص الأسود، لم تحاول ولو لمرة واحدة أن تحكي وتخبرني ما تعرفه، أن تنتشلني من كوابيسي، بل فضَّلت أن تعيش في أمان كما نصحها أبي، أمان على حساب أخيها.



الفصل الثامن عشر

الوجه الآخر للحب



تبًا للحب.. تبًا للمشاعر التي تتحكم في كل حياتنا وطريقنا. الجميع في قصتي كان متهمًا، الجميع كان يحمل بين طياته احتمالية أن يكون طرفًا في لعنتي أو لا، غلا يارا، أختي يارا هي الشخص الوحيد الذي استبعدته تمامًا من تلك الاحتمالية، أختي يارا كانت في نظري الأمان في عالم لا أمان بداخله، الحب في عالم لم يعرف معنى المشاعر في يوم من الأيام، أريد أن أصرخ حتى تتفتت ضلوعي، أريد أن أبكي فيتوقف قلبي حزنًا على دموعي، إلا أنني التزمت الصمت التام، الصمت في أوقات كثيرة أسوأ من البكاء والصراخ، الصمت يقول كل ما لا يمكننا قوله.

أتذكر هذا اليوم، عندما أتت يارا لتبارك على افتتاح عيادتي النفسية بعد تخرجي من الجامعة بعام، جلست أمامي في غرفة الكشف وهي تنظر إليَّ في زهو وفخر، كأنها تنظر إلى ابنتها مريم يوم تخرجها، أمسكت بيدي وهي تقول والدموع تملأ عينيها.

- بابا وماما كانوا هيبقوا فخورين بيك أوي يا حبيبي..

لتخرج من حقيبتها (دريم كاتشر) مليء بالألوان ناولتني إياه وهي تقول بابتسامتها المعهودة:

- عشان كوابيسك تبعد عنك شوية!

أهذا حقًا ما كنت أحتاج إليه يا يارا؟ لعبة من القماش؟ وحدكِ عشتِ حياتك بالسر الذي طال الإفصاح عنه، ولكن أي سر عذبكِ أكثر؟ الأب الذي ألقى على عاتقكِ مسؤولية سِره؟ أم الأم التي قتلتيها بدم بارد؟ أم الأخ الذي ألقيتيه في التهلكة؟ أهو الحب يا يارا؟ أهو الحب الذي جعل منكِ وحشًا لا يملك أي



مشاعر؟ حبكِ لأبيكِ؟ حبكِ لنفسك؟ أم حبكِ لهذا الإحساس بأنكِ في أمان من لعنة أحمد ليل؟

ما هي الأسرار التي لا أعرفها بعد يا أختاه؟ ما دوركِ في بقية القصة يا عزيزتي؟ أم أن الدور انتهى عند حدود الألم؟



مقيد في مقعده، جلس هارون في موضعه عاجزًا عن الحركة، تتحرك عينيه بيني وبين باقي الجالسين، ملامح الكُره تظهر جليةً على وجهه، النظرة التي كان يرميني بها أيام دراستي.

- دكتور هارون، أنا ماعنديش حاجة أخسرها، لما بتعرف إن كل حاجة في حياتك كدبة، بتبقى خلاص مش فارق معاك حاجة..

مددتُ يدي لطه فوضع بداخلها مسدسه، أشرت بفوهته لوجه هارون المرتعد والذي قال في خوف:

- هتستفيد إيه من موتي؟ أنا راجل عجوز موته مش هيغير حاجة!

- رغم إنك راجل كداب وحقير، بس لسه في جزء من الحكاية عندك، وقبل أي شيء تقولي نخرج من هنا ازاي!

قال هارون بكل ما أوتي من غضب وقوة:

- يا يونس أنا ما كدبتش عليك! حكاية أبوك وأمك وأختك دي مشاكل عائلية ماليش دعوة بيها، أبوك كان طول عمره حمار، والأوسخ إنه ماكانش عنده مبادئ، يعترض على تعذيب الأرانب البشرية بس ما عندوش مشكلة إن يخون صاحبه ويدمر حياة عيلة كاملة. أبوك مش بس دمر حياة عيلتك ده عمل كده كمان مع رحمة وعادل.

- فقررت تكمل اللي هو كان عايز يعمله؟ وتحكي لي حكايات مالهاش أي معنى عن صداقتكم اللي مفيش زيها اتنين!



هدأ قليلًا ليجيب بصوت العقل:

- أنا أحسن واحد فيهم كلهم، كل واحد فيهم كان عنده أطماع عايز يوصل لها من الجُحر وبوابة الكوابيس، أنا كان كل غرضي إني أحمي حاتم ابني، ياما قولتله يبعد عنك، بس عجبته لعبة حنين وعادل اللي لعبوها عليك! تفتكر ليه العالم كله بيكرهك بالشكل ده يا يونس؟

- يمكن تكون صح في حاجات كتير، بس غلطان في إن العالم بيكرهني، أنا عندي ما يكفي من الحب يا هارون.. ما تضيعش وقتي أكتر من كده وقولي الجدر فين!

- كل ده مافهمتش يا يونس؟ لسه مافهمتش إن انت المفتاح؟





الجُحر - ١٩٩٦

وقفوا هم الأربعة أمام بوابة عالم الكوابيس في الجُحر ينظرون تارة إلى الباب الذي يشع أضواء عجيبة، وتارة أخرى إلى بعضهم البعض في صمت، خوف وقلق يتملكهم، حتى نطق عماد أخيرًا وقال كمحاولة منه لتخفيف الأجواء:

- مش ده اللي كنتم عايزينه؟ آهي البوابة ظهرت، سنين البحث والمحاولات كان نهايتها النجاح، ليه وشكم عامل كده؟

نظر له نجيب قائلًا:

- عشان مش ده اللي اتفقنا عليه يا عماد، إن البوابة تطلب اسم حد من ولادنا! يا عالم هيطلبوا إيه بعد كده!

- أسبوعين عدوا وابني يونس زي الفل، ماحدش يقلق. خليكم في اللي ماشيين عليه زي ما انتم!

قالها أحمد في هدوء تعجب منه الباقون، فأجابه هارون:

- المشكلة إننا مش عارفين البوابة دي هنقدر نستخدمها ازاي أو حتى إيه اللي جواها، إحنا كل اللي عملناه إننا فتحنا باب للعالم



ده، واللي هيفضل يخرج منه إحنا مش هنقدر نتحكم فيه لأننا ما عندناش أي معلومات كافية عنه!

- البوابة واتفتحت، ودي البداية الملموسة الحقيقية اللي وصلنا ليها، أي حاجة بعد كده هنقدر نوصلها زي ما وصلنا لده.

نظر إليهم نجيب وقال بجدية:

- أنا يمكن أكون أكتر حد متحمس للتجربة، بس إحنا محتاجين اللي يدخل البوابة دي يبقى شخص قادر إنه يخرج عشان ينقلنا التجربة، عايزينه يبقى شخص عنده القدرة إنه يلاقي مفتاح للخروج بدل ما كل تعبنا يروح على الفاضي.

سكت أحمد قليلًا ثم قال:

- ما دام البوابة طلبت يونس يبقى يونس هو اللي هيقدر يدخل ويخرج من هناك، بس في الوقت المناسب، خلينا ماشيين في بحثنا زي ما إحنا ولما يحين الوقت، أنا بنفسي هخلي يونس يدخل البوابة دي ويعرف لنا سر العالم ده.

نظر له هارون وقال في حنق:

- كلنا عارفين انت ليه في المشروع ده من البداية يا أحمد، كوابيسك بتدفعك للجنون! بس افرض إن البوابة زي ما نادت اسم ابنك قررت إنها تنادي اسم حد تاني من ولادنا؟ إحنا كده مش هنبقى بنكسب، هنبقى بنخسر حياتنا بالتدريج! لازم زي ما نجيب قدر يفتح البوابة يعرف ازاي يتحكم فيها!



مصحة الموت الأسود - ٢٠٠٠

داخل زنزانته بالمصحة، كان الخوف يعتصر قلب أحمد ليل، يضرب الباب بكل قوته وهو يصرخ طالبًا الخروج، يضرب بكلتا يديه في ذعر، لا أحد يجيب، لا يسمع سوى صدى صوته يحرك أرجاء المكان في رعب، ساعات قضاها ينبح ككلب تائه حتى فُتح الباب ليتم تكبيله من قبل رجلين أشداء، ويرحلا بعدها ليتركوه مع مضيفه، نجيب أسود.

- نجيب؟ أنا فين يا نجيب؟ إيه الجنان اللي بتعمله ده؟

نظر له نجيب بكُره وقال:

- يوم ما عرفت حكايتك يا أحمد والكوابيس اللي بتخليك مش عارف تعيش ما ترددتش لحظة إني أطلب من رحمة تساعدك، ويوم ما عادل سمعك انت ورحمة بتتكلموا في العيادة بهدلته وقولت عيل ومش فاهم اللي بيسمعه، كان عندي ثقة فيكم لحد آخر لحظة، بس ده وقت الحساب يا صديقي، كنت فعلًا أرنب، بيعمل كل شُغله في صمت.

- سامحني يا نجيب، إحنا صحاب بقالنا عشرين سنة!



ضحك نجيب وقال بوجه مشمئز:

- وانت عملت إيه بالعشرين سنة دول يا أحمد؟ احترمتهم؟ حافظت عليهم؟ بس أنا راجل عادل، زي ما انت خُنتني عشرين سنة أنا هحبسك في الزنزانة دي عشرين سنة زيهم.. أشوفك بعد ما تعفن يا صاحبي.





منزل أحمد ليل - ٢٠٠٠

تعشق يارا أباها، حب مرضي لم تر في طياته أخطاءه ولو لمرة واحدة، حب أعمى جعلها تتغاضى عن كل شيء باستثناء خسارتها له، حب صوَّر أحمد في عينيها ملاكًا بلا أجنحة. أمسكت يارا بسكينٍ أحضرته من المطبخ وبيدٍ مرتجفة بدأت في تهديد أمها بصوت عالٍ يملأه الخوف:

- رجعي لي بابا دلوقتي!

- إيه اللي بتعمليه ده؟ ماسكة لأمك سكينة؟ وبعدين قولتلك انسي إن ليكِ أب!

- يا ماما ما تخلينيش أعمل حاجة هندم حياتي كلها عليها!

- أنا اللي هندم لو لقيت مبرر للي أبوكِ عمله أو اللي انتِ بتعمليه دلوقتي ده، اقتليني يا يارا، والله ما هزعل منك يا بنتي، ولا أقولك...

قالتها منال لتسحب من يارا السكين بسرعة عجيبة وتغرسه في قلبها لتسقط إلى جانب أقدام ابنتها جثةً هامدة في لحظات والدماء تسيل من جسدها، صرخت يارا وهي تحتضن أمها، صرخة تحمل



بين طياتها ندم وعذاب ومسؤولية.



جميعنا نقف حول هارون في عدم فهم لجملته الأخيرة، ماذا يعني بجملته بأنني المفتاح؟ هل هي لعبة جديدة من ألاعيبه أم هو يعني شيئًا ما في باطن كلماته؟!

- البيبان اللي بنبص وراها وإحنا مش فاهمين بنبقى إحنا لوحدنا المسؤولين عن اللي هييجي من وراها.

قالها هارون وبدأ في التحول تدريجيًا لكائن غريب، جسده بدأ في التضخم بشكلٍ سريع ومخيف ليقطع الحبل من حوله بكل سهولة محولًا إياه إلى فتات. أسنانه بدأت تتحول لفكٍ بأسنانٍ حادة كأسنان الذئب، ورأسه تمدد كالأفعى لتأخذ شكلًا يشبه المسخ. وعينيه تحولت إلى لونٍ أحمر ناري، ليقوم بعدها من مقعده بعدما أصبح في حجم شجر الصنوبر العملاق، أشار إلى نفسه بأصبعه الذي يكسوه الشعر الأحمر وقال بصوت مخيف أقرب إلى الزئير:

- شايف الجُحر عمل فيا إيه؟ لو فاكر إن اللي انت فيه لعنة، أحب أفرجك على اللعنة الحقيقية..

مد يده العملاقة وأمسك بجسدي بكل قوة حتى أصبحت فاقد القدرة على الحراك تمامًا، الألم يتملكني. أخرج طه مسدسه إلا أن هارون عاجله بضربة من يده الأخرى أطاحته بعيدًا، زياد أحضر سيفه إلا أن بنظرة من هارون تيبس في مكانه كجذع شجرة عجوز، الغضب بدأ يتطاير من أعين طيف والتي بدأت في الانقضاض على هارون بمخالبها كقطٍ مسعور، تخدشه في كل ما طالته يدها من مكان في جسده الوحشي، الألم يظهر جليًا على هارون إلا أنه يدفعها بقدمه بينما أنا بين أصابعه كفأر بائس ينتظر أن يتم التهامه



على يد أسد جائع.

تشجَّع يسري، ألقى بحقيبة أوراقه بعيدًا وأمسك بكل ما أوتي من قوة بسيف زياد، ليقترب من هارون بيدٍ مُرتعشة مترددة، استجمع قوته وضرب هارون بنصل السيف ليصرخ الأخير صرخة هزت أرجاء عالم الكوابيس ويسقطني من يده، نظر هارون ليسري نظرة تحمل الكثير من الغضب والكراهية ليمسك به بدلًا مني، وبينما كنت أقوم بإحضار مسدس زياد وإطلاق رصاصتين منه استقرا في قلب هارون، كان هو يغرس أنيابه في صدر يسري الذي بكى متألمًا، لينظر إليَّ والدموع تنهمر من عينيه وقال لي والدماء تسيل من جسده وفمه:

- يونس، ما تنساش وعدك ليا!

بدأ هارون في الترنح من أثر الرصاص، ليتهاوى في مكانه ثم سقط ساكنًا وفي يده يسري، اقتربت منه وأنا أبكي في ألم، أمسكت بيد يسري وقلت في نحيب:

- أوعدك يا يسري.. أوعدك..

نظرت خلفي لأجد هارون يتحرك مرة أخرى باتجاهي، يحوم حولي كحيوانٍ في أَسرِه، وقفت في مكاني، رفعت يدي إلى وجهه دون أن أنبس ببنت شفه، لتبدأ الأمطار تتساقط في غضب واستفحال وكأن سماء الكوابيس لم تمطر من قبل، بدأ هارون يتضاءل وهو يصرخ، كلما لمست الأمطار وجهه صرخ كالمجذوب، سقط أرضًا وهو يحرك أقدامه ويديه في حركات بهلوانية مثيرة للضحك والاشمئزاز، بدأ لونه في التغير وجلده في

الانتفاخ ككلب ميت، بدأت تنزف عينه في مشهد مرعب ليسكن جثة هامدة.

توقف المطر، الكل ينظر إليَّ في عدم فهم أو تصديق، ابتسمت لهم والدموع تنهمر من عيني قائلًا:

- هارون عنده فوبيا المطر، من سنين طويلة في الجامعة الدنيا مطرت، شوفته بيجري زي المذعور لعربيته، المطر ما بلش غير إيده، وفي اليوم التاني إيده كانت محروقة بالكامل، حاجة جوايا النهاردا خلت المطر ده ينزل..

الألم يجتاح صدري كما يجتاح جسدي، مات يسري اليوم وهو ينقذ حياتي، لم تدم معرفتي به أيامًا قليلة إلا أنني أشعر بحزنٍ لا نهاية له الآن، كان الصمت والحزن يخيمان على أرجاء اليوم، قمنا بدفن يسري وتوديعه وداعًا يليق بروحه الجميلة الشجاعة، كتب طه على شاهد قربه (يسري - الفارس والمُبدع)، الجميع كان حزينًا بكل صدق، زياد لم يغادر غرفته طوال اليوم بعد أن دفناه، طه خرج وغاب لساعات طويلة، دولت وشوكت لم يتوقفا عن البكاء، بينما جلست أنا وطيف بجانب المنزل ننظر إلى السماء في صمت، وبعد ساعات طويلة استأذنت هي لكي تنام، وبقيت وحدي لأشعر به يقترب مني، يواسيني كما كان يفعل في الماضي.

- أنا آسف..

قالها زيتون بوجهٍ جاد على غير عادته، إلا أنني لم أُجِبه، فأكمل كلامه قائلًا:



- أنا عارف انت حاسس بإيه، وعارف إنك جواك غضب، أنا قادر أشوف غضبك بعيني المجردة، بس المهم دلوقتي إنك تخرج من هنا..

نظرت إليه والحزن يملأ صوتي وقلبي وقلت في جزع شديد:

- قلبك عليا أوي يا زيتون؟ عايز تساعدني؟

- عندك شك في ده؟ أنا عمري ما اتخليت عنك! بلاش زعلك ينسيك زيتون، عمومًا أنا جيت أقولك إن كل حد من حكايتك قابلته هنا وسامحته، ده جزء من مفتاح خروجك..

استوقفتني جملته، فسألته بجدية:

- يعني إيه؟

ابتسم زيتون وقال:

- العالم ده مُصمم إنه يطلع النسخة الأسوأ منك، عالم الكوابيس وظيفته يسلب منك كل مسببات الحياة، السعادة، الأمان، والتسامح، المشاعر اللي انت تعبت عشان تلاقيهم في العالم الحقيقي بتاعك يا يونس، وعشان كده المكان ده شبه طريق طويل كله محطات، زي قطع من لغز أو أُحجية، بتجمع قطعة منها مع كل محطة بتقف فيها، كل محطة بتوصلها بتوصلك أكتر للخلاص في حكايتك ومفتاح خروجك بيتكون مع كل محطة لحد ما يكتمل في المحطة الأخيرة، أو الكابوس الأخير بمعنى أصح.

- وأوصل ازاي للكابوس الأخير ده؟



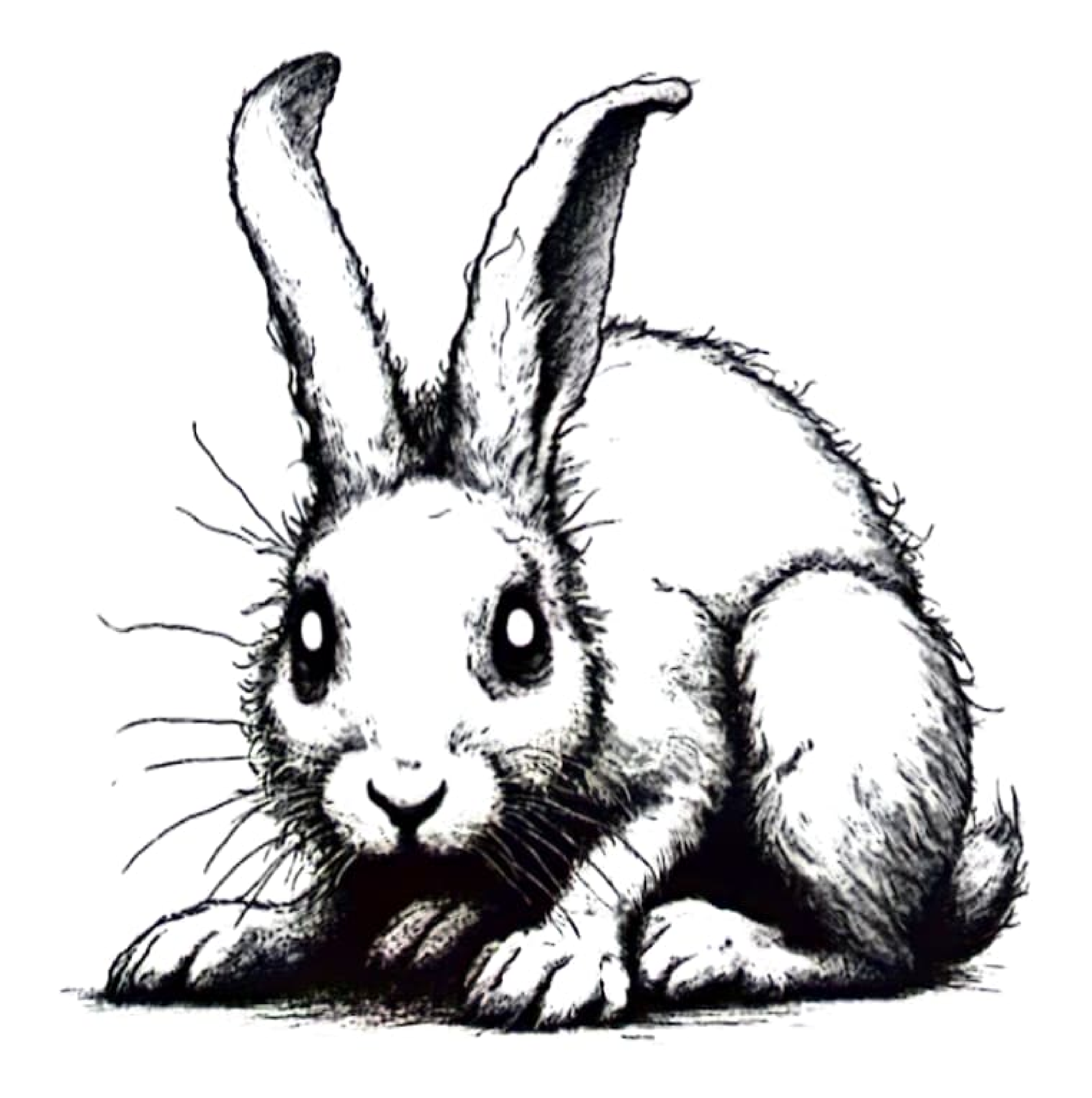
أشار زيتون بيده لمبنى عملاق بعيد يظهر جليًا من وسط الأحراش والغابات، مبنى أسود ضخم نوافذه ينبعث منها ضوء أحمر وقال:

- خُد فريقك وروحوا للقصر اللي هناك ده، هناك هتلاقي الكابوس الأخير، ومفتاح خروجك انت وكل اللي معاك يا يونس، ساعتها بس دوري في حكايتك هينتهي تمامًا..



الفصل التاسع عشر

نبوءة وكابوس



"الانتقام عامل زي القهوة، لازم يتعمل على نار هادية عشان يطلع مظبوط".

تلك كانت جملة حنين الأشهر، لم تكن تعلم أن الانتقام سيطولها قبل الجميع، انتهت حنين وانتهت قصتها، انتهت الكثير من الأشياء في هذا العالم اللعين، انتهت أسطورة الأرانب إلى الأبد، مات الأرانب الأربعة بلا عودة، الأربعة الذين اعتقدوا أنهم سيغيرون العالم، وأنهم سيتحدّون الطبيعة نفسها للوصول إلى المراد. ماتوا وماتت معهم أطماعهم الشخصية ليتركوا بوابة ملعونة.

أريد أن أعود إلى البحر كي أدمره، أريد أن أعود حتى أحوله إلى فتات، أريد أن أحرقه كما حُرق قلبي من الوعود. لماذا لم أر أننا جميعًا ضحايا في قصتي؟ أحمد ليل ضحية كوابيسه، منال ضحية أبي، يارا ضحية العهد، نجيب ضحية الأمل، رحمة ضحية الحب، حنين ضحية الشر، عصفورة ضحية الضعف، هارون ضحية الحلم، وأنا ضحية المؤامرة..

ربما لم أكن ملعونًا كما ظننت، ربما لم أكن السم الذي يزرع في قلب كل من أحبني، ربما أنا ولو لمرة واحدة ترياق تلك القصة، ربما أنا البَحر الذي يحمل كل الأسرار، وملاذ الجميع!

ومثل الأساطير، تحركنا فريق واحد في مواجهة الكوابيس للمرة الأخيرة، أسير وإلى جانبي زياد بسيفه المصنوع يدويًا، خلفنا طيف ودولت وشوكت وفي نهاية الصف طه بمسدسه وقبعته، في طريق طويل لم يُمهد سوى للنهايات التعيسة. أعلم أن النهاية أيًا كان مصيرها، قد اقتربت كثيرًا، لم أعد يونس الذي أعرفه، لم



أعد يونس الساكن في الضلال، أصبحت الحياة أكثر وضوحًا، الجميع بدأ يشعر بالإنهاك بعد ساعات طويلة من المشي، دولت وشوكت يشبهان سلحفاتين لم تتذوقا الماء منذ قرون، لا أحد يتكلم ولا أحد يشكو، الجميع ينتظر لحظة إسدال الستار.

بعد مرور ساعات، كنا وجهًا لوجه أمام باب القصر الأسود، استقبلنا كائنين أقرب ما يكونا إلى البشر، كل واحد منهم له أربع أيادٍ وأربعة أقدام، جسد خنفساء بوجه إنسان، أخبرتهم باسمي فأشارا إلينا أن نتبعهما حتى وصلنا إلى بهوٍ عملاق يتوسط حائطه مصباح ضخم ينير الغرفة بأكملها بإضاءة حمراء انعكست على ملامحنا، وفي نهاية البهو جلست امرأة رائعة الجمال، شعر أسود كالليل، ترتدي شيئًا يجمع بين الدرع الحربي والفستان، شاحبة الوجه يزين رأسها تاج من الفيروز، ابتسمت فور أن رأتني وقالت بصوت ناعم لا يخلو من القوة.

- أهلًا بيك وبكل فريقك، أنا رحيل، ملكة عالم الكوابيس..

كان الموقف مهيبًا، إنها المرة الأولى في حياتي التي أقابل ملكة من أي نوع، أغلب نساء حياتي كانوا من المجرمين والمختلين.

- أهلًا بيكِ، أنا يونس، زيتون قال إن مفتاح خروجي هيكون هنا..

ضحكت بصوت خافت ثم قالت:

- انت مش محبوس هنا، هارون كان بيحكي عن المكان ده ليك كأنه بيحكي لك عن سجن، بصراحة سعيدة إنه مات..



- يعني إحنا مش محبوسين؟ نقدر نمشي دلوقتي؟

ارتسمت على وجهها ملامح الجدية وقالت:

- ده عيب البشر، دايمًا مستعجلين في كل شيء، اسمع الحكاية الأول واسمع عرضي ليك وبعدها القرار ليك!

- حكاية إيه وعرض إيه؟!

لم تجب، فقط قامت بالإشارة بسبابتها للمصباح الأحمر فتغير لون الغرفة إلى الأرجواني، ليغرق بعدها البهو في ظلام دامس وتحول إلى مجسمات من الهولوجرام، صوت صورة كأنك تشاهد عرضًا مسرحيًا من الكواليس.

"مش كل حقيقي هو الحقيقة".

تحولت إضاءة الهولوجرام إلى شاب وسيم، يسير في طريق طويل في منطقة صحراوية نائية، ينظر بين اللحظة والأخرى خلفه ليتأكد أن لا أحد يتبعه حتى وصل إلى جبل ضخم، صعد أدراجه ليجلس بعدها في انتظار شيء ما، حتى اقتربت منه فتاة رائعة الجمال، يحيط جسدها هالة من نور أخضر وكأنها ساحرة ألقت على نفسها تعويذة ما، لم يبد عليه التعجب من رؤيتها، بل ابتسم وهو يقترب منها في لهفة المحب قائلًا:

- اتأخرتِ.. كنت خايف ماتجيش!

ابتسمت في دلال وقالت بفخر:

- الكابوسيات مش بيخلفوا وعودهم!

- وحشتيني..

ليتبخر المشهد ويتبدل بنفس الشاب ونفس الفتاة ولكن تلك المرة والحزن جليًا على ملامحهما، كانت الدموع تملأ عينيه وهو يقول لها:

- بس أنا بحبك!

- انت عارف إني بحبك، بس الحب ده نهايته مكتوبة من بدايته!

بكى الشاب في ألم وهو يقول لها:

- وليه نحكم على حكايتنا بنهاية إحنا الاتنين مش عايزينها يا رحيل؟!

تبخر المشهد مرة أخرى لنرى الشاب في سنٍ أكبر قليلًا، بينما الفتاة تقف أمامه والغضب يتطاير من عينيها والهالة التي تحيطها تحول لونها إلى لون النار وهي تقول:

- واضح إنك مبسوط في حياتك الجديدة!

نظر لها بتعجب متسائلًا في غيظ:

- بتلوميني على إني بحاول أعيش حياتي اللي انتِ قررتِ إنك تسيبيها؟ مش شايفة إنك أنانية؟

- أوعدك إنك مش هتشوفني تاني.

- بس أنا ما...



لم تمهله الفرصة ليجيب، تركته في حيرته وألمه. اختفى المشهد وعاد البهو كما كان بإضاءته المخيفة، قامت رحيل من مكانها واقتربت مني وهي تقول:

- دي الحكاية اللي ماحدش حكاها عشان ماحدش عرفها يا يونس!

- البنت اللي شوفتها دي انتِ؟ صح؟

- والشاب ده يبقى أحمد، أبوك يا يونس..

استشف رحيل من ملامحي التائهة في غياهب قصتها بأنني لا أفهم أي شيء مما تقوله أو مما شاهدته من مشاهد للتو، طلبت من خدامها أن يأخذوا فريقي حتى يرتاحوا ويتناولوا الطعام، لتتهلل وجوه شوكت ودولت فور سماعهم كلمة طعام، نظرت لزياد وطه الذين ارتسمت على وجوهم ملامح القلق وأومأت برأسي بابتسامة كي أطمئنهم، وقامت هي باصطحابي إلى شرفة قصرها حتى يتسنى لها الحكي بشكل أوضح.

- اللي اتحكى لك من هارون ماكانش غلط، واللي اتحكى لك كان من عصفورة مش غلط، بس ماحدش منهم يعرف الحكاية الحقيقية غيري، الحكاية اللي عشتها بنفسي من وأنا لسه بضفاير..

- ممكن تحكي لي ازاي تعرفي بابا؟ هو بابا دخل عالم الكوابيس قبل كده؟ أنا مش بعمل حاجة غير إني بسمع حكايات بسيناريوهات مختلفة بتهد كل حاجة عرفتها في حياتي..

- خليني أفهمك القصة كلها من بدايتها يا يونس..





واحة سيوة - ١٩٧٠

جلس أحمد ليل، الشاب العشريني يتأمل تفاصيل هذا المعبد الذي تكاثرت حوله القصص الأسطورية، يقوم بالتقاط الصور الفوتوغرافية في سعادة بكاميرته الكانون موديل EXEE التي لا تفارقه منذ أن اشتراها العام الماضي، كان قد انتهى منذ فترة وجيزة من دراسته الجامعية وأراد أن يسافر لواحة سيوة التي سمع عنها كثيرًا قبل أن يتولى مسؤولية إدارة محلات والده بالقاهرة كونه وريثه الوحيد، ظل يلتقط الصور في شغف وعينه لا تغادر فتحة منظار الرؤية الخاصة بكاميرته حتى لمح خيالًا مشعًا يمر سريعًا من أمامه.

انتفض أحمد وأنزل كاميرته من عينيه فلم يجد أي شيء، ظل يتجول في أرجاء المعبد يبحث عن هذا الكيان المنير حتى وجد نفسه أمام جحر صغير في مكان نائي من أركان المعبد، يكفي لمرور شخص نحيل مثله من خلاله، وضع رأسه في فوهة الجحر فرأى الضوء العجيب مرة أخرى، أخذ نفسًا عميق وألقى بنفسه داخل هذا الجحر، ليجد نفسه في ثوان في مكان آخر، مظلم ومقبض، أمامه تقف فتاة رائعة الجمال بفستان أسود، كان القلق واضحًا على



ملامحها، حاولت أن تهرب منه إلا أنه ابتلع ريقه بصعوبة وقال بصوت مطمئنٍ:

- ما تخافيش مني، أنا مش هعملك حاجة!

بأقدام خائفة اقتربت منه الفتاة، مد يده ليصافحها وهو يبتسم لها:

- أحمد ليل.

- رحيل..

ليبدأ بعد هذا السلام قصة حب حُكم عليها بالفشل منذ لحظتها الأولى، شاب من البشر وقع في حب أميرة من أمراء عالم آخر يسمى بعالم الكوابيس، بشري حالم وكابوسية تنتظر الحب، تمامًا مثل الأساطير التي يقع فيها الإنسان في حب مخلوقة من أحد العوالم الخفية التي لا نعلم عنها إلا القليل، ولمدة خمس أعوام كان أحمد دائم الذهاب لسيوة، ليمر من هذا الجحر الصغير ليسرق بعض اللحظات مع رحيل، حبيبته الأولى في هذا العالم، وفي العالمين الذي عرفهم في حياته، وفي مقابلتهم الأخيرة أخبرها أحمد أن عائلته قد اختارت له عروسًا تُدعى منال، إلا أنه لا يريد سوى أن يعيش حياته بأكملها مع رحيل، أخبرته بأنها لا يمكنها أن تترك عالمها وملكها، حاول كثيرًا أن يقنعها بأن حبهما أهم بكثير من كل شيء إلا أن نداء الواجب كان له الأولوية، اتفقا على الفراق على أن يعيش كل منهما حياته وأن يقابلا بعضهما كل عدة أعوام ليشبعا حبهما الملعون..

- أنا عمري ما هنساك يا ليل..



تزوج أحمد من منال، وعاش معها في سعادة لمدة عام واحد فقط حاول خلاله أن ينسى رحيل قبل أن يعود الحنين بطرق بابه مرة أخرى، حاول حتى أن يتناسى رحيل، ولكن بلا جدوى، حاول أن يراها في منال ولكن الحب الذي دام لخمسة أعوام لم يقل في قلبه حتى بعد زواجه من منال، كانت رحيل دائمة الظهور له، تأتيه في منامه، ككابوس تظنه هدية له كي يشعر بها، يُعذب ولا يجد حلًا، وجودها مؤلم وغيابها أشد ألمًا. أنجب أحمد من منال ابنته يارا، وأنجبت رحيل من زوجها ذكرًا، كان حبه لها يعميه، يسكر ويبكي كالأطفال، حتى عندما ألقى بنفسه بين أحضان رحمة لم يجد مراده، كان يبحث عن الرحيل في كل نساء الأرض، ولكن هيهات.

- أنا ممكن أبطل أكون جزء من أحلامك يا ليل..

- عشان خاطري يا رحيل، يمكن الكوابيس دي الحاجة الوحيدة اللي بتخليني لسه عايش..

كان يعتقد أنه إذا عالج كوابيسه سينتهي كل شيء وينساها تمامًا، كان يعتقد أنه إذا نزع لعنته سيموت حبها في قلبه، ولكن هل يموت الحب مهما طالت السنوات؟ هل ينسى المرء حكاياته أم يعيش معذبًا مثل فينسنت؟ بعد عدة سنوات ذهب ليقابل رحيل، كان زوجها قد مات منذ مدة، والشوق قد نال منهما ما نال، غرقا في قبلة طويلة انتظراها لسنوات، طلب منها بدموعه وتوسله أن يبقى معها تلك الليلة، ليلة تمناها لسنوات، ليلة لم يتمنَّ سواها في كل الأعوام السابقة، الليلة التي أسفرت عن حملها بطفل هو مزيج من البشر والكابوسيين، طفل يدعى يونس..



الصدمة تظهر جلية على ملامحي، يرتعد جسدي كزلزال يوشك على الفتك بالعالم كله، استشفت رحيل شعوري، اقتربت مني وهي تتأمل ملامحي وقالت:

- بعد ما خلفتك ماكانش ينفع تعيش في العالم ده، طلبت من أحمد ياخدك تعيش في العالم بتاعه، عيلتي لو عرفوا إن عايش وسطهم كائن نصفه بشري ونصفه كابوسي كانوا هيقتلوك ويقتلوني، وبعدها قفلت البوابة اللي بين العالمين عشان أحمد ما يقدرش يقرب لي تاني، كان لازم كل واحد فينا يعيش حياته بشكل طبيعي، أحمد قال لمنال إنه اتبناك وهي حبتك كأنها أمك، عمرها ما حسستك إنك مش ابنها، أنا كنت طول الوقت حواليك وبشوفك، حبيت منال لحبها ليك، الصندوق اللي اتبعت لك واللي كان مليان صور ليك، الصور دي كلها أنا اللي كنت بطلب إنك تتصورها، عشان أشوفك في كل ثانية، كان نفسي أبقى جنبك وانت بتكبر، ولما أبوك عمل المستحيل عشان يفتح البوابة، بعتلك أخوك الكبير من زوجي الأول عشان يكون جنبك طول الوقت ويحميك، طلبت منه إنه يفضل ملازمك في كل مرحلة من مراحل حياتك عشان أكون متطمنة عليك يا حبيبي..

- زيتون؟ زيتون يبقى أخويا؟!

لم يكن قرينًا ولا صديقًا خياليًا، لم يكن عفريتًا ولا من صنع خيالي، لم يكن قوة خفية تحميني، بل كان أخي الأكبر، أخي الذي كُلف بحمايتي من قبل أمي التي لم أعرفها سوى

منذ لحظات، أخي الذي أنقذني من الموت، أنقذني من التنمر وأنقذني من نفسي مرارًا وتكرارًا، زيتون أخي ولم يتمكن ولو لمرة واحدة أن يفصح عن هذا السر احترامًا للعهد الذي أبرمه مع أمه، أو أمي!

- اسمه الحقيقي سنوي، وهو انعكاس لاسمك زي ما العرف عندنا بيقول، فضلت إني أعيش بعيدة عنه عشان يكون جنبك وأعيش بعيدة عنك عشان تعيش حياة طبيعية وماتدفعش تمن اللي عملته أنا وأبوك.

نظرت لها والدموع تملأ عيني وقلبي وأنا أقول:

- للأسف الحياة اللي اتمنتيها ليا مش هي الحياة اللي حصلت عليها، أنا حتى اللي بتحكيه دلوقتي بقى مش غريب بعد كل اللي شوفته، زيتون، أو سنوي، كان عنده حق لما قال إن مش كل شيء حقيقي هو الحقيقة. الأرانب الأربعة عاشوا حياتهم بيحاولوا ينقذوا ولادهم من دخول المكان ده، وماحدش فيهم كان عارف إن ماحدش كان مكتوب له يدخل غيري، وإن اللي طلبتني هي أمي، وإن اللعنة هي السر، والحقيقة هي المفتاح!

ابتسمت وقالت:

- كنت بحاول أعمل أي حاجة عشان ترجع ليا انت وأخوك، أحمد كان بيحاول يعمل أي شيء عشان يرجع لي بس أنا كنت عايزة ولادي، أحمد عمره ما حب يا يونس!

أمسكت بيدي في حب وهي تقول:

- أنا آسفة يا يونس، آسفة على كل اللي عديت بيه كل السنين اللي فاتت، قولي ازاي أقدر أعوضك وأنا مستعدة أعمل أي شيء!

حررت يدي من يدها برفق وأنا أقول:

- هتصدقيني لو قولتلك إني مابقتش عارف حتى أنا عايز إيه؟ أفضل مع أمي الحقيقية في المكان الوحيد اللي حسيت جواه بالراحة دي رغم وحوشه وتفاصيله المرعبة؟ ولا أرجع لعالم ما اخدتش منه غير الكدب والألاعيب؟ ولا أعيش مستخبي من العالم مع ياسمين وأحمد ومنال زي ما كنت عايش وأنا مستني علبة جديدة فيها أسرار جديدة عليها وش أرنب؟

أشعر أنني أحلم.. لماذا لا تتوقف الحياة عن مفاجأتي؟ لماذا لا تتوقف الحياة عن إبهاري بأسوأ وأبشع الطرق على الإطلاق؟ هل من المفترض أن أفرح؟ هل من المفترض أن ألقي بنفسي بين ذراعيها وأخبرها أنني سعيد لرؤيتها أم أبكي أن منال ليست أمي؟ أشعر بمزيج عجيب من المشاعر التي أريد أن أنتزعها من ضلوعي.

- أنا حاسة بكل كلمة انت بتقولها، الاختيار لأول مرة ليك يا حبيبي، اللي هتطلبه هو اللي هيحصل، والأسرار كانت نهايتها مع مقابلتك ليا.

نظرت خلفي، طوال حياتي وأنا أشعر بوجوده حتى عندما يحاول الاختباء مني، ابتسم في خجل وهو يقترب مني، أمسكت رحيل بذراع كل منا وهي تقول وعينيها مغرورقة في الدموع وهي تبتسم:



- عارفين بقى لي كام سنة مستنية اللحظة دي؟ عمري كله! رغم إن كل السنين اللي فاتت كنتم بعيد عني بس أنا نخورة بيكم، نخورة بسنوي اللي قدر يحمي أخوه من كل اللي عاشه، ومن كل اللي حاولوا يدمروه، ومن يونس، الدكتور الشاطر اللي عرف يلاقي الحب في عالم مافيهوش أي حب.

ضحكت وأنا أضرب زيتون برفق في صدره وأنا أقول:

- طلعت أخويا في الآخر؟ والله كان قلبي حاسس!

احتضنني زيتون وهو يقول:

- كان نفسي أقولك حاجات كتير أوي يا يونس، بس العهد كان أكبر مني ومن كل اللي عِشته، وبعدين هو أنا سيبتك؟

بكيت بحرقة وأنا أجيبه:

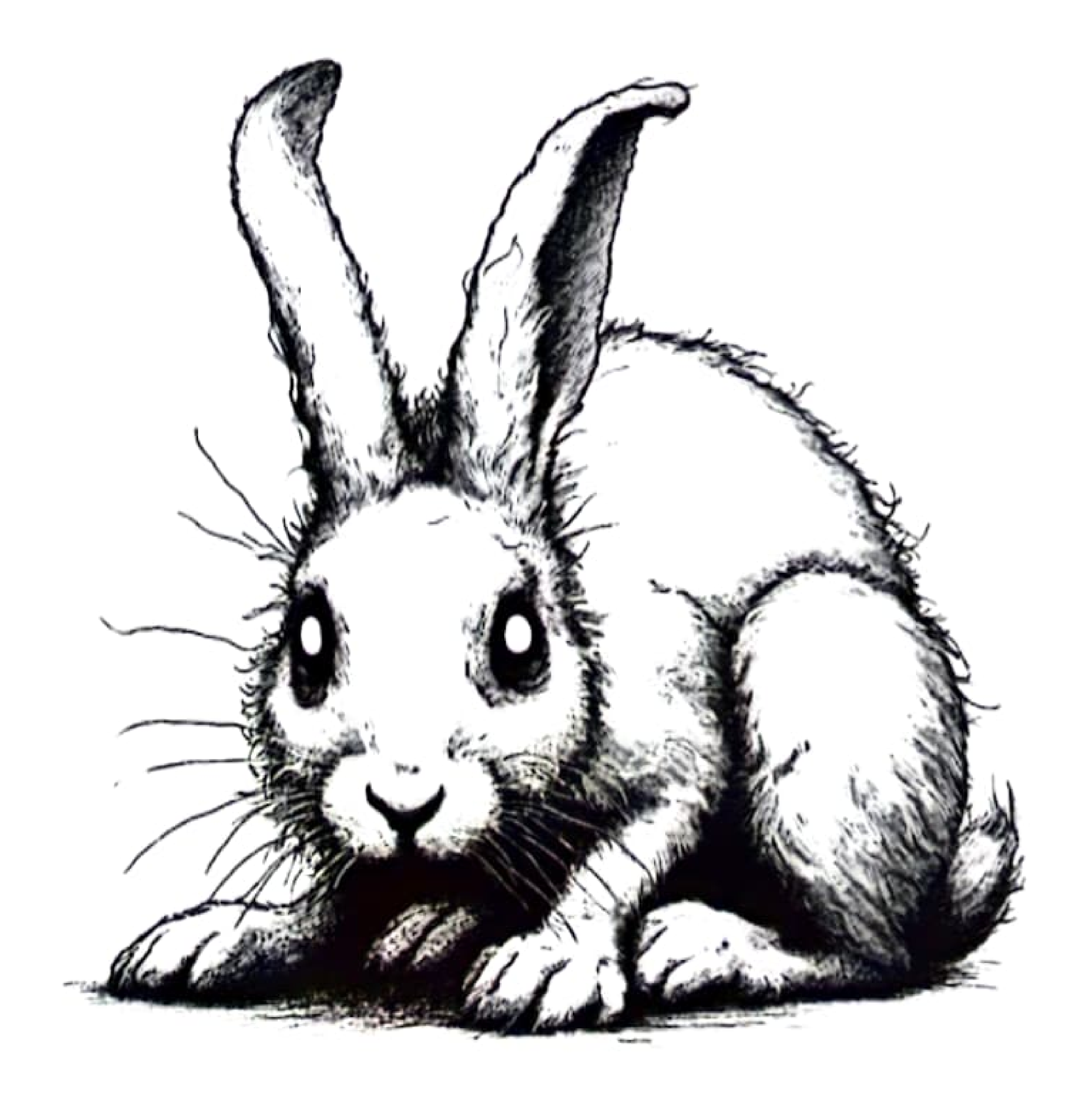
- بس آديك هتسيبني دلوقتي، بس أنا مبسوط إنك أخيرًا هتعيش حياتك اللي اتحرمت منها سنين عشاني.

ابتسمت رحيل وهي تقرب يدها من مكان قلبي وتقول:

- أنا وأخوك هنفضل هنا، سواء في العالم ده أو في أي عالم تاني هتعيش فيه، إحنا سكان قلبك الأصليين يا يونس..

الفصل الأخير

ما تبقى من يونس







بعد مرور ثلاثة أشهر..

أنا هو أنا.. أنا يونس أحمد ليل.. الذي لم يعتقد في يوم من الأيام أن الكوابيس ليست إلا جزءًا من جيناته وتكوينه، يونس الذي يرى الحقيقة الكاملة للمرة الأولى في حياته، يونس الذي يمتلك حق الاختيار أيضًا للمرة الأولى في حياته. أشعر بالفخر، بالسعادة والراحة، لكوني يونس.. أو على الأقل ما تبقى منه.

عدت إلى منزلي بعد تلك الرحلة العجيبة، جلست على مقعدي المفضل الدافئ أتأمل الحائط بعد تجديده، فوق التلفاز قمت بتعليق قناع الأرنب كي يكون دومًا أمامي شاهدًا على كل ما مررت به ورمزًا لانتصاراتي الصغيرة، إلى جانبه وُضع برواز ضخم لأمي التي لم أحب غيرها، منال، وبرواز آخر يتضمن صورة أحتضن بها ياسمين وأحمد ومنال الصغيرة، كل ما أملك في هذا العالم، أو في كل العوالم. تذكرت جملة الجدة ونجي بأن ليس كل ما يلمع ذهبًا، إلا أنني علمت أخيرًا ما هو الذهب الحقيقي في حكايتي.

قبل رحيلي من عالم الكوابيس شكرت رحيل على أنها منحتني حق الاختيار، وهو الحق الذي حرمت منه طوال حياتي، قبل خروجنا من بوابة عالم الكوابيس تفاجأت بطلب غريب من



دولت وشوكت برغبتهم في البقاء هناك، أخبرتني أمي أنهما سيكونان من أهل المملكة، أخبراني أن السلام والسكينة التي عثروا عليها في عالم الكوابيس لم يجدوهما في عالم البشر، وأنها ستثنيهما لأجلي.

وعدت رحيل بأنني لن أنساها، وطلبت منها طلبًا واحدًا، أن تسلِّط خدامها من الكابوسيين على المدعو حاتم نور حتى يفقد عقله أو حياته، أيهما أقرب، أردت أن أنتقم منه دون أن أراه مرة أخرى حتى أتحرر من كل الشرور والماضي، وعدتني بأنها ستكون دومًا حولي، وأنها لن تتركني مهما كانت بعيدة عن عالمي، هي وزيتون، أو سنوي، الأخ الذي طالما تمنيته والأخ الذي لم أحصل على أفضل منه، الأخ الذي لا أتخيل حياتي بدونه، ولكن عودته إلى عالمه وحياته هي القرار الأفضل له مهما كان قرارًا صعبًا ومؤلمًا لقلبي.

هاتفت يارا لأطمئن عليها وعلى مريم دون أن أتطرق لأي شيء مما عرفت، بعض الأشياء من الأفضل أن تبقى مستترة إلى الأبد حتى لا توقظ جرحًا أكبر من طاقتنا، ستظل يارا أختي وأمي الثانية رغم كل شيء. قامت طيف بافتتاح مركزًا لمساعدة الفتيات والسيدات من ضحايا العنف بأنواعه، وأخبرتني في رسالتها الأخيرة أنها هي وطه يعيشان قصة حب جميلة تحمل بين طياتها الكثير من الأمل في حب ظنوا أنه غير موجود في هذا العالم، فرحت من قلبي لهما وتمنيت لهما حياة سعيدة هادئة بعيدة عن الحنين والفراق.

استقال طه من عمله، وقام بافتتاح مشروعه الشخصي، مكتب



للتحقيق الخاص في قضايا القتل والاختطاف، حتى يتسنى له مساعدة أكبر عدد من الأشخاص دون الرجوع لأحد وبسياسته الخاصة في العمل، إلا أنني طلبت منه طلبًا شخصيًا غير أخلاقي تمامًا، إلا أنه طلب لا بد منه، الزج بالنونو في مياه الفيوم ليلًا حتى تنتهي المدينة الجميلة من هذه الأفعى إلى الأبد، أخبرني أن سِحر العلايلي وزوجها حبيب على اتصال دائم به، أخبرني بأنهما قد تزوجا إلا أنهما لم يخبراه عن مكان سكنهما وقد تفهم هذا جيدًا.

كان طلب زياد فور عودتنا هو أن يعيش في جزيرة الجُحر، حيث الهواء والبحر الذي حرم منهما لسنوات، أرسل إليَّ رسالة مصورة من بيته الجديد فوق جزيرة الجُحر، الجزيرة التي أهديتها له بكل حب، كان يريني في الفيديو كيف قام بإطلاق سراح كل الأرانب البشرية الذين تم إيداعهم في مصحة حقيقية بعيدة تمامًا عن الجزيرة بعدما تم الزج بكل الأطباء والعاملين في هذا المكان في السجن، وكيف أطلق سراح الأرانب غير البشرية ليصبحوا سكان الجزيرة معه، يأكلوا من زرعها ويتكاثرون دون الخضوع لأي تجارب مجنونة أخرى، حتى أنه أرسل لأحمد ومنال أرنبين صغيرين ليعيشا معنا، أخبرني أنه بصدد تحويل الجزيرة إلى مزار سياحي تقام به الحفلات الموسيقية، وأنه عاد بعد سنوات طويلة لأكثر ما أحب في العالم، البيانو.

ذهبت إلى القاهرة لأفي بوعد لم أنسَه رغم كل شيء، دلفت إلى مكتب صاحب إحدى دور النشر، كان جالسًا وراء مكتبه يراجع بعض الأوراق وهو يعدل من وضع قبعته، الأستاذ (محمد المصري) الناشر المخضرم، والذي اشتهر منذ سنوات بحبه للمغامرة

في مجال النشر وحبه الأكبر لتبني المواهب الشابة، صافحته في ودٍّ ودعاني للجلوس وبدأ في سماع قصة رواية يسري بعدما طلب لنا كوبين من الاسبريسو، ساعات أحكي عن الرواية وظروفها، بالطبع دون أن أتطرق لدخولنا شخصيًا لعالم الكوابيس حتى لا يتم طردي من مكتبه ووصفي بالجنون، أحكي ويسمع هو في إنصات واهتمام حقيقي، انتهيت من الحكي وقد بدا على وجهه ملامح الرضا الممزوجة بالفضول، أخرج من درج مكتبه عقدًا أبيض وقال بوجه شغوف:

- الرواية دي بتاعتي.. وصاحبك اللي بتحكي عنه ده عبقري!

ابتسمت في سعادة وأنا أقول:

- أنا حقيقي مبسوط ان الرواية عجبتك، وكان نفسي يسري يكون معانا يوقع عقد روايته بنفسه.

- الصُحاب اللي زيك مش كتير يا أستاذ يونس، أوعدك إن الرواية دي هتخرج للجمهور بالشكل اللي يليق بمحتواها وبموهبة كاتب شاطر زي ده.

- وأنا متأكد من ده يا فندم.

- ها قوللي بقى، عندك تصور لاسم الرواية؟

أغمضت عيني للحظات كأنني أشاهد مشهدًا في رأسي ثم قلت ضاحكًا:

- بصراحة فكرت كتير وشايف إن أنسب اسم ليها: كوابيس قبل النوم.



مرت ثلاثة أشهر منذ خروجي من الجحر، إلا أنني أشعر أن كل ما حدث قد مر عليه لحظات، ما زلت أتذكر كل تفاصيل تلك الرحلة، الرحلة التي جعلتني أخيرًا أرى الصورة الكاملة للحقيقة، أمسكت بالجريدة التي يحضرها لي يوميًا عم فايز الجنايني لأرى في صفحة الفن خبر بالبنط العريض (اعتزال الفنان حاتم نور وابتعاده عن الأضواء لأسباب شخصية)، خرجت مني ضحكة ممتزجة بشر مشروع، كان قد وصلني منذ أيام صندوق صغير يحتوى على فلاش ميموري بداخله فيديو لحاتم نور وهو يصرخ كالمجذوب في غرفته، لا يظهر في الفيديو أحد غيره إلا أن الرعب كان جليًا على ملامحه، كأنه يرى شبحًا مخيفًا. أترك الجريدة من يدي وأنظر إلى الشاطئ فأرى منال تسبح في البحر تحاول أن تُمسك بسمكة صغيرة وهي تضحك بينما أحمد يبني قصرًا من الرمال بتركيز شديد، اقتربت ياسمين تلقي بذراعيها في أحضاني وهي تقول بابتسامتها المعهودة:

- خلاص مفيش كوابيس تاني؟

- خلاص يا حبيبتي الحدوتة خلصت، من دلوقتي مفيش لعنات ولا كوابيس، أنا مش عايز أفكر غير في الحاجات المهمة في حياتي، يعني عايز أستاذة منال تعلمني ازاي اصطاد سمك بإيدي، بشمهندس أحمد يعلمني ازاي أبني قصر مدهش من الرملة زي القصر اللي بيعمله ده، وانتِ تعلميني الشيء الأهم في حياتي، إني أرجع من تاني أعيش واصدق في الحياة..

- أنا عمري ما هبعد.. ده وعد.





بعد مرور أربعة أعوام...

نشتاق نحن الرجال إلى بعض الهدوء، نشتاق إلى العزوبية والمشي عاريًا في أرجاء المنزل كإنسان الكهف غير مبالين لأي شيء، منذ يومين سافرت ياسمين ومعها أحمد ومنال إلى إنجلترا في رحلة ألحوا عليَّ طويلًا أن أذهب فيها معهم، إلا أنني رأيت في تلك الرحلة فرصة كي أنعم ببعض الهدوء بعيدًا عن الضوضاء، سافروا منذ يومين وأشعر من وقتها أنني ملك هذا المنزل أخيرًا، استيقظت في السابعة صباحًا كما أفعل كل يوم، الجو قاتم رغم إننا في الربيع، المكيف المركزي يعمل بصورة طبيعية إلا أنني أشعر بشيء ما يطبق فوق صدري، أنزلت قدمي من فوق الفراش كي أرتدي شبشبي، إلا أنني رفعتها سريعًا في ألم من أثر عضة في أصابع قدمي، نظرت إلى الأسفل لأجد أرض الغرفة ممتلئة عن آخرها بأرانب بيضاء وسوداء لا حصر لهم يركضون ويقفزون في كل مكان، قرصت نفسي، أنا لا أحلم، تحركت بصعوبة حتى بلغت باب المنزل، بدأوا في الركض إلى الخارج بسرعة جنونية، نظرت إلى السماء فوجدتها تميل إلى الأحمر الناري، تفاصيلها المضطربة تشبه لوحة (ليلة مرصعة بالنجوم)، لا أحد حولي، أعلم تمام العلم أن الساحل الشمالي يكون في الأغلب خاليًا تمامًا في مثل



هذا التوقيت من العام، إلا أن ما أشعر به الآن إحساس مخيف لا يمكن وصفه.

أنظر حولي باحثًا عن إجابات حتى أتت إجابتي في صورة يد تجذبني من ملابسي، لأجد هذا الأرنب الذي كان يزورني في أحلامي قديمًا، عدل من وضع نظارته الطبية وقال:

- دكتور يونس، إحنا في أشد الحاجة لحضرتك..

حاولت أن أنطق إلا أن الصدمة ما زالت تسيطر عليَّ، بقيت في ثباتي حتى ظهر أمامي باب يشبه باب عالم الكوابيس، خرجت منه أمي رحيل وأخي زيتون، سرعان ما تبخرت ابتسامتي لرؤيتهما بسبب ملامحهما التي يبدو عليها القلق.

- إيه اللي بيحصل؟ انتم كويسين؟

نظرت رحيل حولها في خوف ثم قالت بعدما احتضنتني:

- السنين اللي فاتت حصل فيها حاجات كتير في عالم الكوابيس، الباب اللي فتحه أبوك في الجُحر زي ما انت دخلت منه زي ما فيه كائنات قدرت تتسلل للعالم بتاعكم، الكائنات دي ممكن تكون مسالمة في عالم الكوابيس، بس هنا الكائنات دي وحوش. انت متخيل النيدلان لوحده قادر يعمل إيه هنا؟ إحنا محتاجين مساعدتك يا يونس، نرجع كل حاجة لطبيعتها بدل ما تحصل كارثة ممكن تدمر العالمين!

ابتسمت وأومأت برأسي لهما وأنا أقول:

- أنا جزء من العالمين، يعني ده بيتي وده كان بيتي!



تعجب زيتون من إجابتي فقال محذرًا بحب:

- بس الموضوع مش هيبقى سهل يا يونس! لو مش عايز تكون طرف في الحرب دي أنا وأمك هنكون متفهمين..

قبل أن أجيبه رأيت وحشًا مجنحًا أسود اللون يقترب منا، أشار إليه زيتون فهبط الى جانبنا، فوقه كان يجلس زياد، بدا مهندمًا، ابتسامته مشرقة وقد زاد وزنه فظهر في سن أصغر، شعرت بفرحة شديدة لرؤيتي له، ابتسم زياد في ود ثم قال بجدية:

- قوة (أرا) زادت بعد فتح البوابة، وأتباع أبو اللهيم مش هيبجي من وراهم غير الحرب، قوة أرا هي اللي بتمد وحوش عالم الكوابيس الهاربين بالقوة اللي عندهم!

اتسعت ابتسامتي وقلت في تحدٍ:

- مفيش حاجة صعبة بعد اللي عشته، ومفيش حرب مش هقدر أحاربها، أيًا كان اللي خرج من عالم الكوابيس ومهما كان اللي بتحضر له (أرا)، مع بعض هنقدر نحارب الحرب دي ونكسبها، حابين نبدأ منين؟

بدأت ملامح الارتياح والتفاؤل تظهر على وجوههم جميعًا بعد جملتي الأخيرة. أعلم أنني أقسمت ألا أعود للمتاعب، ولكن المتاعب هي التي تجذبني كالنداهة. أعلم أنني لا أعلم تمامًا ماذا سأواجه، إلا أنني مستعد تمامًا له..

أنا الآن يونس آخر.. أنا الآن يونس أقوى، على أتم الاستعداد لأي حرب، وخصوصًا إن كانت حربًا ضد الكوابيس...



تمت بحمد الله



شكر واجب



لكل الناس اللي كانت معايا في رحلة كوابيس قبل النوم، واللي دورهم كان مهم جدًا -سواء بعلمهم أو لا- في إن الثلاثية تخرج بالشكل العظيم ده واللي أنا راضي عنه من كل قلبي، إليكم كل الشكر والحب اللي في الدنيا:

ماما، بابا وزياد، لكونهم السكان الأصليين لقلبي.

فينسنت فان جوخ ورسائله الحقيقية لأخيه، لكونه الملهم الأول لتلك الثلاثية.

هشام نزيه، خالد حماد - وخالد الكمار، على الموسيقى اللي خلتني أكتب كأني في عالم تاني.

بُن أبو عوف (غامق محوج)، لدوره الهام في إني أقدر أفتح اللابتوب كل يوم الصبح.



محمد ممدوح ومحمد فراج، لكونهم يونس وشريف في خيالي منذ بداية الثلاثية.

رنيم الحداد، أختي، وصديقتي على كل الدعم والسلام والسعادة اللي بستمدهم منك.

محمد المصري لكونك أخ قبل أي شيء.

جون كلود أورفلي، موسيقتك ساحرة مثلك يا صديقي العبقري.

نورهان سعيد، لكونك صديقة حقيقية خالية من زيف العالم.

إسلام مجاهد، عشان دايمًا بتستحمل زني وبتفهم دماغي اللي مليانة دوشة.

ملك خليل، صديقتي، دعمك كان شيء مؤثر في كتابة الثلاثية.

حنين جلال، أشطر فويس أوفر، اللي قدرت تحول ريماس لإنسان حقيقي.

خلود العبيدي، اللي استحملت عدد لا يُستهان به من الأرانب والجنون.

بسمة مجدي، لكونك بوصلة حقيقية في وقت التوهان.

فرح بهاء، شكرًا لكونك فرح وكفى.

حازم شوقي، شكرًا على إنك بتيجي كل معرض كتاب وانت مش بتحب الكتب عشان بس تدعمني.



سلمى سامح شمس الدين، شكرًا لكونك فنانة ذكية وصديقة حقيقية.

يسري عفت، شكرًا لكونك أخ صادق ومرآة كل عمل بكتبه.

أسماء جلال، شكرًا لكونك ملهمة واحدة من أهم شخصيات الرواية.

أحمد فكري، شكرًا على فيديوهاتك العظيمة ودعمك الصادق يا فيكو.

جنة عبد المنعم، شكرًا لكونك دايمًا موجودة وعلى إنك من أجمل الناس في عالم لا يعرف من الجمال إلا القليل.

نور محمد، ومي المليجي، شكرًا على وقتكم في إن برومو الجزء التاني يكون عبقري وزي ما تخيلته بالظبط.

سلمى شحاتة، شكرًا على كونك صوت حنين وإنك حولتيها لكيان من لحم ودم بإحساسك.

محمد عصمت، شكرًا على كل شيء وعلى وجودك.

رجاء مجدي، شكرًا على كونك جدعة وحقيقية.

شيريهان محمد، شيمو كساب، وأسماء محمد، لكونهم من أهم الداعمين والبشر الحقيقين.

قرائي، شكرًا ليكم على كل الحب والدعم، أنا من غيركم ولا حاجة.



عن الكاتب:

- كاتب مصري من مواليد الإسكندرية ١٩٩٢

- تخرج من كلية الإعلام قسم إذاعة وتلفزيون

- حاصل على بكالوريوس الإعلام من جامعة Bedfordshire البريطانية

- صدر له ١٠ أعمال أدبية

- يعمل في مجال التسويق والإعلانات كمدير ابداعي ومعد للبرامج

- كتب للتلفزيون (المخبر - راجل و٢ ستات)

- كتب برامج اونلاين (كراكيب - حواديت نص الليل)

- كتب واخرج العديد من الإعلانات

- كتب مقالات في بعض الصحف الإلكترونية

- تصدرت روايته "كوابيس قبل النوم" قائمة الأكثر مبيعا وتُرجمت الى الانجليزية

- تصدرت رواياته في حضرة الموت والسكان الأصليين للقلب قائمة الأكثر مبيعا

صدر للكاتب:

- حنين اضطراري



- آخر أيام آدم

- زي كل سنة

- كوابيس قبل النوم ١ (تُرجمت للإنجليزية)

- كوابيس قبل النوم ٢

- في حضرة الموت

- بتوقيت الفراق

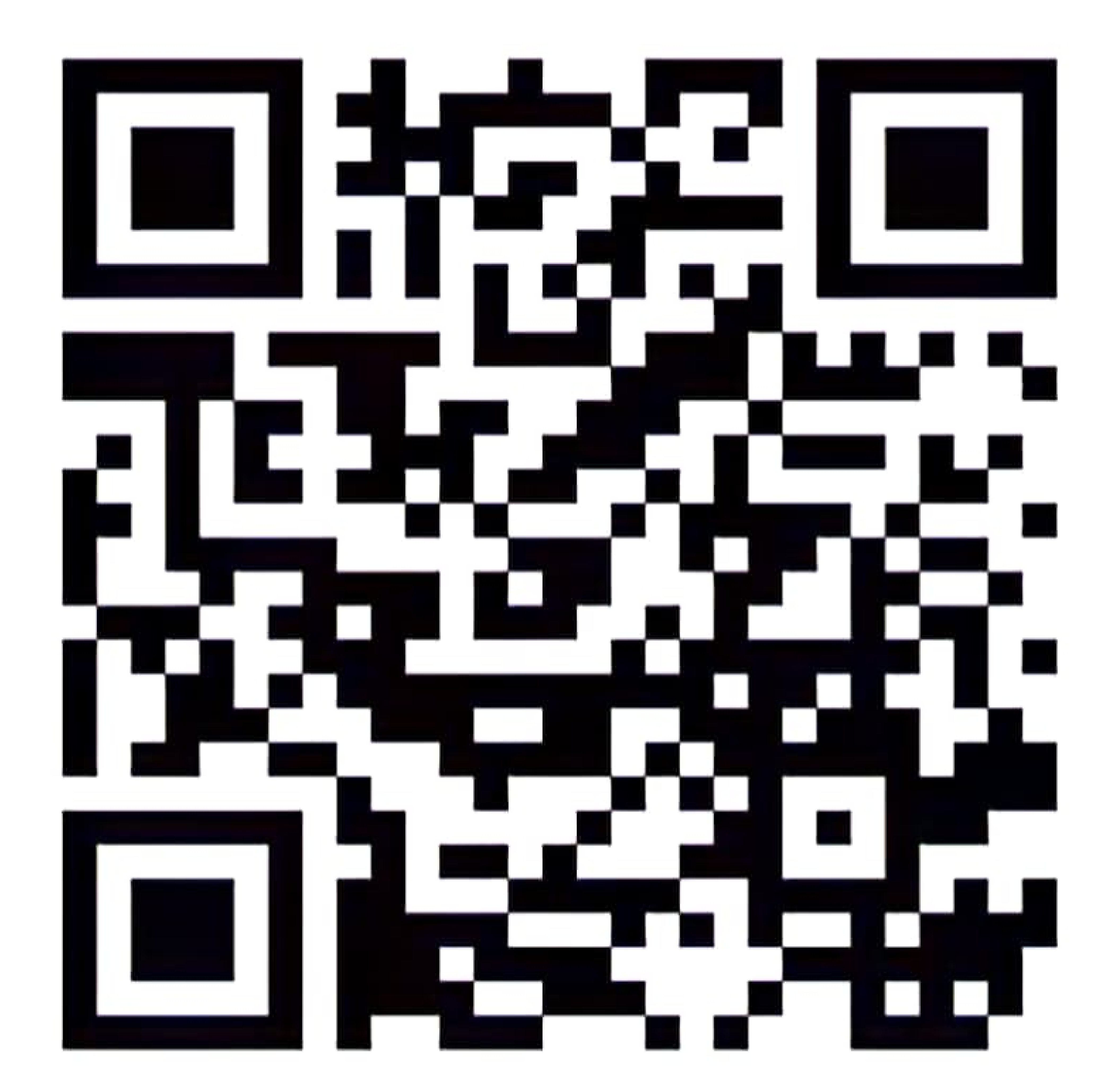
- السكان الأصليين للقلب

- اختفاء السيد ديفينهايم (ترجمة)

- كوابيس قبل النوم ٣



للتواصل مع الكاتب..





Notes

[←1]

لمعرفة قصة (طه الحسيني) الكاملة ارجع لرواية (السكان الأصليين للقلب).

[←2]

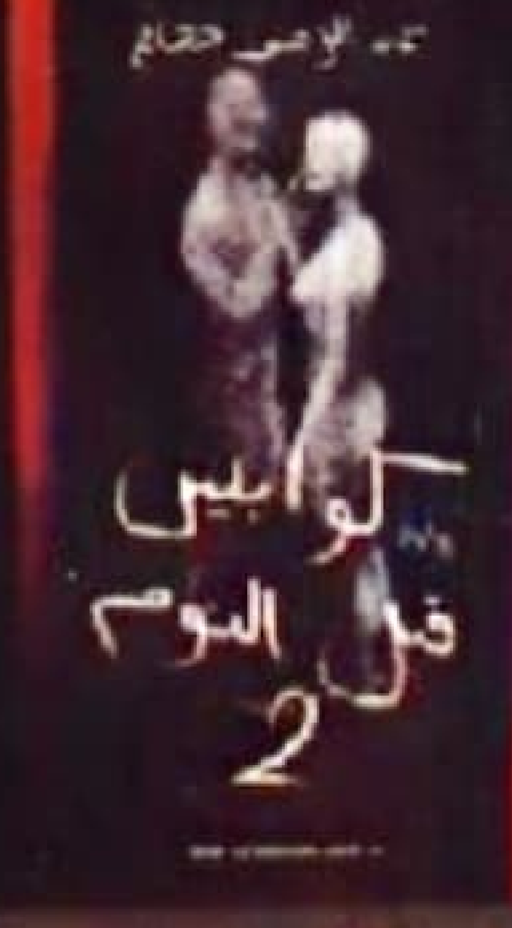
لمعرفة قصة (سِحر وحبيب) الكاملة ارجع لرواية (السكان الأصليين للقلب).

[←3]

لمعرفة قصة (زياد أورفللي) الكاملة ارجع لرواية (في حضرة الموت).

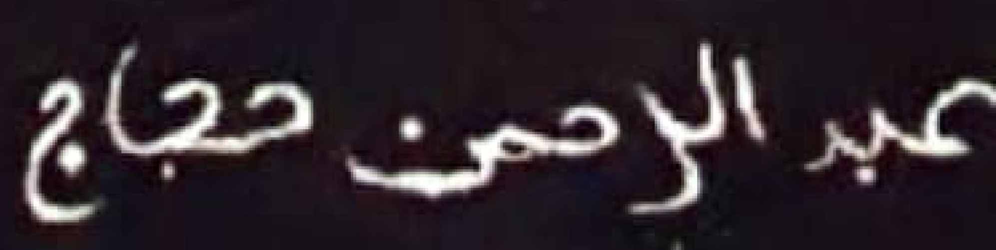


كوابيس قبل النوم



انا هو انا . ملعون بعدم الاكتراث . ملعون بالاعتياد .
ملعون بعدم قدرتي على الوصول الى الذروة في اي
شيء . ملعون بكون شخصا expired لا تفوح مني
رائحة العطن ولكن الافضل للاخرين عدم استخدامي .
انا العدو الاكبر لدى نفسي لا اوذيها حقا . ولكني
ايضا لا انفعها . انا من يدفن نفسه في العمل لساعات
وساعات لأتفادى نقاشا عقيما مع نفسي، أنا من
يعيش في ماضي لن يعود وحاضر لا أكترث لوجوده
وينتظر مستقبلا لا أمل فيه ..





صدر له 5 روايات
حنين اضطراري - آخر أيام آدم -
(زي كل سنة - كوابيس قبل النوم - كوابيس قبل النوم 2)
احتلت روايته كوابيس قبل النوم قائمة الأكثر مبيعا في
Virgin Megastore في سبتمبر 2020
عمل في العديد من شركات الدعاية والإعلان
حاليا هو Creative Director Associate في شركة
THE APP CONCEPT
تم محاورته على إذاعة الراديو الفرنسية كواحد من
الفنانين المؤثرين في جيل الشباب في أكتوبر 2020











تصميم الغلاف : محمد ممدوح